القيم والخصال

في شجرة الاستشراق الإسباني

الوارفة الظّلال

د. جمعة شيخة



القيم والخصال في
شجرة الاستشراق الإسباني
الوارفة الظّـــلال

د. جمعة شيخة

الكويـت

2004

أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعه الباحث
بمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
عبدالعزيز محمد جمعة

الصف والإخراج والتنفيذ
محمد العلي
أحمد متولي أحمد جاسم
قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

ردمك: ISBN : 99906 -72 - 20 - 2
رقم الإيداع : Depository Number: 2004 / 00311

حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة



مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)
E-mail < Kuwait@albabtainpoeticprize.org >

الكويت 2004

تصديــــــر...

الاستشراق موضوع شائك بقدر ما هو موضوع شائق أيضًا، وإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوى. فالمستشرق هو إنسان بكل ما تعنيه الكلمة من معنى لن يرتقع إلى إلى مصاف الملائكة، أو ينحدر إلى درك الشياطين، أسوة بغيره من بني الإنسان.

لقد مر الاستشراق بمراحل عديدة، وله أيضًا أهداف عديدة، منها الخيِّر والمخلص، ومنها غير ذلك، ونحن في هذه المؤسسة عندما اخترنا قرطبة ابن زيدون، مكانًا لإقامة دورته، لم نشأ أن نغفل عن موضوع بأهمية الاستشراق والمستشرقين، فكان هذا الكتاب الذي كلف بإعداده الأستاذ الدكتور جمعة شيخة، الذي نهض مشكورًا بأعباء كبيرة في إعداده إعدادًا علميًا لائقًا بالمناسبة وموضوعها، فبالإضافة إلى مصادره الواسعة في تونس وتخصصه في الأدب الأندلسي والإسباني، فإنه حرصًا على النهل من المصادر الأصلية للاستشراق الإسباني رحل إلى مظانه في إسبانيا، وعرّج على فرنسا، حتى يجيء الكتاب دقيقًا وحسبما هو مأمول.

وقد عرض المؤلف في هذا الكتاب لمعنى الاستشراق وبذوره الداخلية والخارجية ولجذوره ومدارسه، كما عرض لغصونه أي إلى مشاهير المستشرقين الإسبان. ثم عرج على قضايا الاستشراق ومستوياته التراثية والأكاديمية والعلمية والإبداعية وصولاً إلى مستوى الأدب العربي المعاصر، ونظم جداول بأسماء المستشرقين الإسبان في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين الموافقين للقرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، فله الشكر مرة أخرى.

راجيًا أن يجد القارئ الكريم في هذا الكتاب صورة واضحة عن الاستشراق الإسباني بمختلف مستوياته وقضاياه، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في 24 رجب 1425هـ

الموافق 9 سبتمبر 2004م

****

المقدّمـــــــة

لسنا في حاجة اليوم، ونحن في منتصف الألفيّة الثانية لهجرة محمّد نبيّ الهدى، وبداية الألفيّة الثّالثة لميلاد عيسى رسول المحبـــّة ، أن نكتب (في وعن) الاستشراق بنفوس بالحقد طافحة ، وعقول بالغطرسة جامحة، دون ضمائر لهذه النزوة وذاك الهوى كابحة ، لأنّ الكتابة (في وعن) الاستشراق انطلاقا من إيديولوجيـــّة مرسومة وعقيدة دينيـــّة ثابتة هو ضرب من صبّ البنزين على نار تلتهب ، ولأنّ الكتابة (عن وفي) الاستشراق بقلم يشبه معولا هو هدم لجسر متداع سلفا، سيسقط حتما بمن عليه في وادٍ عميق من التعصّب المقيت .

نعم إنّ الكتابة (في وعن) الاستشراق بعين واحدة لا ترى إلاّ المساوئ هو قطع الطريق أمامنا لكلّ استفادة من مرتع خصيب . وتذوّق الاستشراق بلسان عليل وفم مريض هو حرمان لنا من ماء زلال في يوم قيظ شديد .

لسنا في حاجة عندما نكتب (في وعن) الاستشراق لتمجيد في العقول مرفوض، ولا لتنديد في النـــّفوس ممجوج، ولا لتحامل في الضّمير منبوذ .

المستشرقون في المطلق ليسوا ملائكة ولا هم شياطين ، لذا لا يجوز أن نتعامل معهم جميعا بنفس الأسلوب وبنفس المنطلق وبنفس الطّريقة .

والاستشراق أنواع ، ومواضيعه كثر، وأهدافه شتى، وأساليبه مختلفة . وما كتبه العرب وغيرهم عنه كثير ومثير ، وليس لي إلى مثله سبيل، ولا أنا على شبيهه بقدير.

وأقصى ما أطمح إليه هو تعريف للاستشراق من منطلق لغوي بسيط ، وتتبّع لأهمّ محطاته في شبه الجزيرة الإيبيريّة باختصار شديد. ثمّ ترجمة لأهمّ أعلامه لأنّ ، بدون ذلك ، تصبح هذه الدّراسة تنظيرًا غير مفيد .

وبعون الله نستمدّ التـــّوفيق المديد

د. جمعة شيخة

تونس 15 / 8 / 2004

التمهيـــــد

تعريف الاستشراق:

هناك ثلاثة مصطلحات للدّلالة على الباحثين والمهتمّين بدراسة الحضارات الشـــرقيّة وتراثها بصفة عامّة، والتـــراث العربي الإسلامي وحضارته بصفة خاصّة هي :

أ) المستعربون : اسم فاعل من الفعل المزيد " استعرب " وحروف هذا الفعل الأصلية هي (ع،ر،ب) ، ويطلق هذا المصطلح على غير العربي ممّن يدرس اللّغة العربيّة ويتقنها ، وله اهتمام بما كُتب بها من تراث فيطلبه (صيغة استفعل في فعل استعرب تدلّ على الطلب) ويدرسه ويختصّ فيه .

وقد أطلق هذا المصطلح أوّل ما أطلق على صنف من المجتمع الأندلسي، وهم السكّان الأصليون الذين أصبحوا يتكلّمون العربيّة ويعيشون تقريبا حسب تقاليد العرب في مأكلهم وملبسهم ، ولكنـــّهم بقوا متمسكين بدينهم سواء أكانوا نصارى أم يهودا .

ثمّ أعيد إطلاق هذا المصطلح على العلماء الإسبان ممّن اهتمّوا بالحضارة العربيّة الإسلاميّة داخل شبه الجزيرة الإيبيريّة وخارجها بعد انقراض دولة الإسلام بالأندلس إلى اليوم . ويميل بعض الباحثين المغاربة [1] إلى تفضيل هذا المصطلح على مصطلح " مستشرق" ، بل إنّ بعض الباحثين الإسبان المعاصرين [2] يحبـــّذون اطلاق اسم "مستعرب" عليهم عوض " مستشرق" . ويمكن أن نجد للمستشرقين الإسبان عذرًا في إصرارهم على إطلاق كلمة " مستعرب" عليهم، لأنّ أغلبهم لا يدرسون تراثا شرقيا وإنـــّما يدرسون تراثا نشأ وترعرع في بلادهم، وإن كانت جذوره تنتمي إلى الشـــــرق.

[1] كالأستاذين محمّد بنشريفة ومصطفى الغديري (انظر بحث الأستاذ مصطفى الغديري حول الحركة الاستعرابيّة الإسلاميّة : دراسات أندلسيّة عدد 2003/29 ص 25) .

[2] كالأستاذين فريدريكو أريوس (انظر الحوار معه في جريدة العلم المغربيّة 1996/11/26) . وبيـدرو مونتابث (انظر الحوار معه في الملحق الثقافي لجريدة العلم المغربيّة 2002/7/27) .

ب) المستشرقون : اسم فاعل من الفعل المزيد "استشرق" وحروف هذا الفعل الأصلية هي (ش،ر،ق) . وهو في صيغته " استفعل" يدلّ على الطلب كفعل استعرب . ويطلق هذا المصطلح على علماء الغرب من غير العرب (مسلمين أو غير مسلمين) ممّن اشتغل بالبحث في الحضارات الشرقيّة عامّة، والحضارة الإسلاميّة بصفة خاصّة تحقيقا للتراث ودراسة له ، وفي منطقة جغرافية تمتدّ من شمال إفريقيا إلى الهند والصّين مرورًا بالشرق الأوسط بما فيه من بلدان عربيّة وإسلاميّة .

وقام بالتحقيق والدّارسة في المقام الأوّل أكاديميّون من علماء وباحثين في اختصاصات شتــى ، وفــي مقام ثان غير الأكاديميّين من رجال الدّين ورحّالة وكتّــاب [3]، وفي مقام ثالث هناك موظفون من رجال جيش، ومخابرات ، ومغامرين.

وقد ظهر هذا المصطلح أوّل ما ظهر في إنجلترا سنة 1123 / 1711 ثمّ في فرنسا 1214 / 1799[4] .

ج) مستأندلسي : وهو مصطلح صاغه الأستاذ الكبير والمستشرق الإسباني القدير ميكال دي إبلزا (جامعة أليكانت) ، من كلمة أندلس ، وأطلقه على العلماء الإسبان المهتمّين بالتراث العربي الأندلسي . ورغم دقة هذا المصطلح لم يلق رواجا في الوسط الأكاديمي الجامعي لسبب بسيط هو أنّ العلماء الإسبان لئن تخصّصوا في تراث بلادهم هم من المهتمّين كذلك بكامل التــراث العربي الإسلامي .

د) المتأفريقون : اسم فاعل مشتق من اسم " إفريقيا " وأطلق على المستشرقين الإسبان ممّن قاموا بدراسات عن أوضاع شمال إفريقيا عامّة ، والمنطقة الغربيّة منه بصفة خاصّة لمساعدة القوّات الاستعماريّة الإسبانيّة في هذه المنطقة. وكان أغلبهم من العسكريّين وموظفي الإدراة ، وهذا الصّنف لم يكن له حضور متميّز داخل الجامعة حسب المستعرب بيدرو مونتابث ، لكنّ هذا لم يمنع كبار المستشرقين الإسبان من التعاطف معهم ومساعدتهم [5].

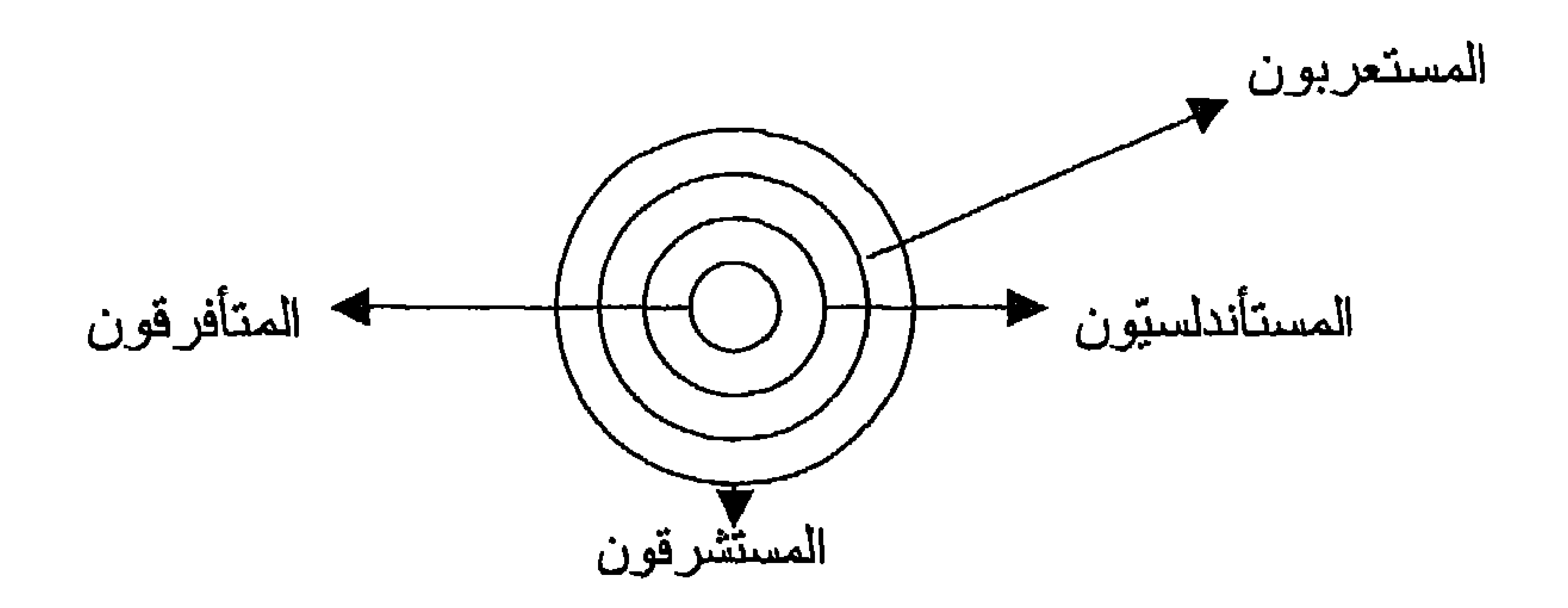
---

[3] هذان الصّنفان ممّن أعجبهم الشرق بروعته وبهرهم بسحره .

[4] (2) EI / VII / ص 736 . مقال " مستشرقون" كتبه ج ، د. ج . وارنبورغ J.D.J. Waardenbburg

[5] الغديري : دراسات أندلسيّة 2003/29 ص ص.ص 41-43 .

ويمكن أن نجسّم هذه المصطلحات من حيث اتساع مجال الاختصاص وضيقه في الشكل التالي :



وفي أروبا أطلق مصطلح "مستشرق" على المختصّين في دراسة اللّغات والثقافات الشرقيّة قديما وحديثا لتمييزه عن مصطلح " كلاسيكي" ، وهو مصطلح أطلق على المختصّ في اللّغتين والثقافتين اللاتينيّة واليونانيّة .

ويقابل هذه المصطلحات الأربعة مصطلح " مستغرب" من فعل استغرب وهو فعل مزيد يدلّ على الطلب مثل الأفعال الأخرى ، وحروفه الأصلية (غ،ر،ب) ، وقد أطلق هذا المصطلح على علماء الشرق عامّة والعرب والمسلمين بصفة خاصّة ممّن كان لهم اختصاص في تراث الغرب وحضارته . ولا يخلو هذا المصطلح من استنقاص وتهجين لأنّ صنفا ممّن أطلق عليهم لم يكتفوا بالميل إلى تراث الغرب والاختصاص فيه، بل اعتنقوا مذاهبه وإيديولوجيّاته ممّا جعلهم يقفون مواقف قد تكون معادية لأهلهم وأوطانهم أو هكذا يؤوّلها بعض أهل الشرق .

وتولّد عن مصطلحي " مستشرق " و " مستغرب" ، مصطلحان آخران "شرق" و"غرب" متضادان على أصعدة مختلفة : وهما يشيران سياسيا وعسكريا إلى النــزاع بين الفرس (شرق) واليونان (غرب) في القديم[6] ، وإلى الصّراع بين الإسلام

---

[6] وهو نزاع أدّى إلى استيلاء الجيوش اليونانيّة بقيادة إسكندر المقدوني على كامل منطقة الشرق الأوسط، في مرحلة أولى ، ثمّ حلّ محله الرّومان في مرحلة ثانية .

والمسيحيّة في القرون الوسطى[7] ، وإلى الاصطدام بين الخلافة العثمانيّة والدّول الأوروبيّة في العصور الحديثة [8] .

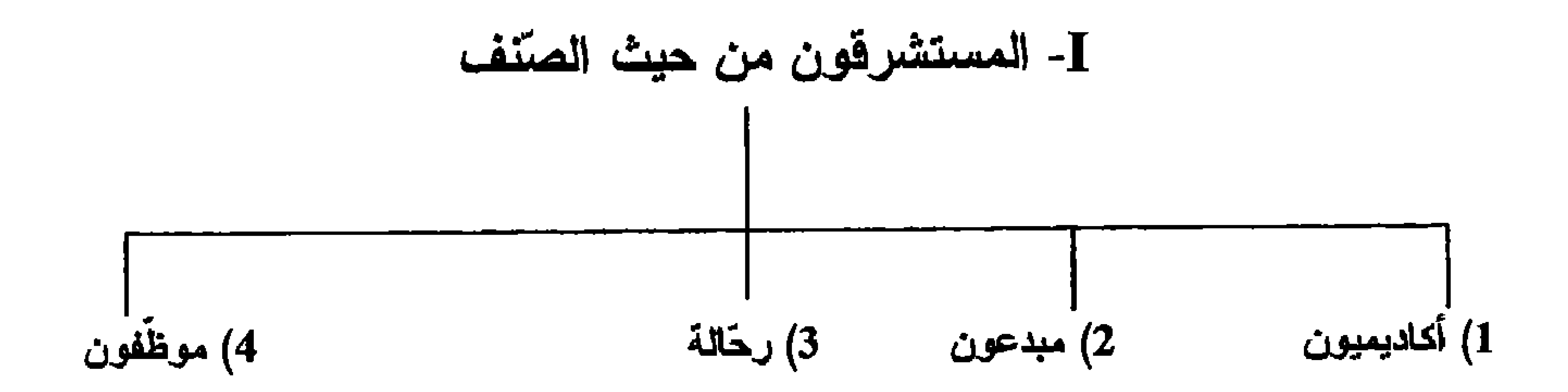
كما يشيران إلى الفروق اللّغويّة والعقليّة والثقافيّة والحضاريّة ، وأسلوب التـفكير ونوعيّة العلوم المدروسة بين شعوب الغرب عامة وأوروبا بصفة خاصّة ، وشعوب الشرق عامّة ، والعالم الإسلامي بصفة خاصّة إلى نهاية القرن13/ 19 .

وأصبحت الكلمتان في نهاية الحرب العالميّة الثانية تدلاّن على إيديولوجيـتّين أساسيّتين هما الاتحاد السّوفياتي والدّول الاشتراكيّة (شرق) من جهة، والولايات المتـّحدة ودول حلف شمالي الأطلسي (غرب) من جهة أخرى، وبسقوط الاتحاد السّوفياتي وانحلال الجبهة الاشتراكيّة في نهاية القرن العشرين عاد المصطلحان ، بسبب التعصب والغطرسة ، إلى ما كانا عليه سابقا من صراع بين حضارتين وديانتين وعقليّتين : إسلاميّة – ضعيفة ومتخلّفة، ومسيحيّة متقدّمة وقويّة .

---

[7] وقد أدّى الصّراع إلى اتساع دولة الإسلام مع العرب شرقا إلى مشارف الهند وغربا إلى جنوب فرنسا ووسـطا إلى جنوب إيطاليا (خاصّة صقليّة) . وجاء ردّ الفعل المسيحي مع حركة الاسترداد المسيحيّة في الأندلس والغزو النورماندي لصقلية والحروب الصليبية في الشّرق .

[8] وتجلى في اتساع رقعة دار الإسلام مع الأتراك إلى قلب أروبا وأحواز فيينا ، ثمّ تراجع أمام تفاقم القوّة العسكريّة لأروبا وخاصّة مع حملة بونابرت على مصر في أواخر القرن 18 ، وبداية الاستعمار الحديث .



1) الأكاديميّون

أ- مُحَقـِّقو التــّراث

*تحقيق *دراسة *نشر

ب- الباحثون

*المترجمون

*لفلسفته * لِعلُومه

* الباحثون في لغاته

*العربيّة * العبرية * السّريانية *الكلدانية

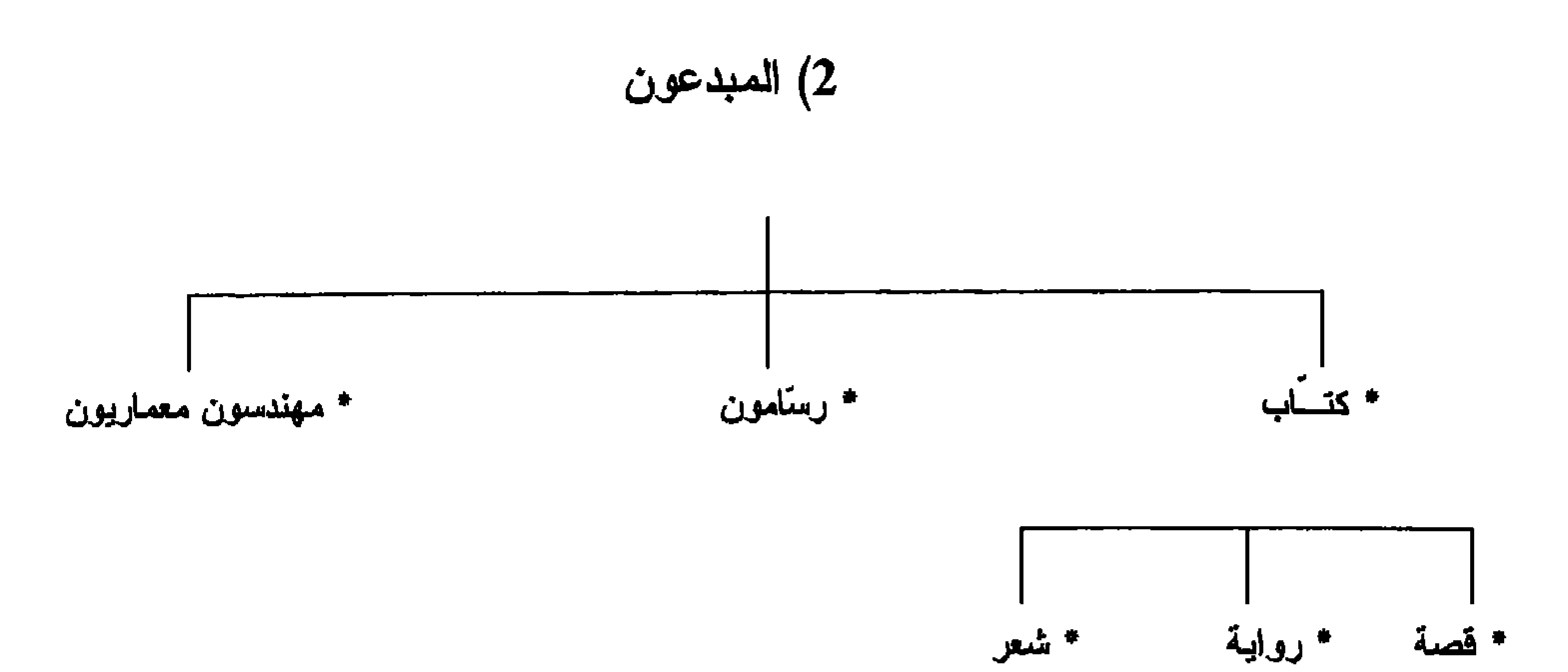
* الباحثون في دياناته

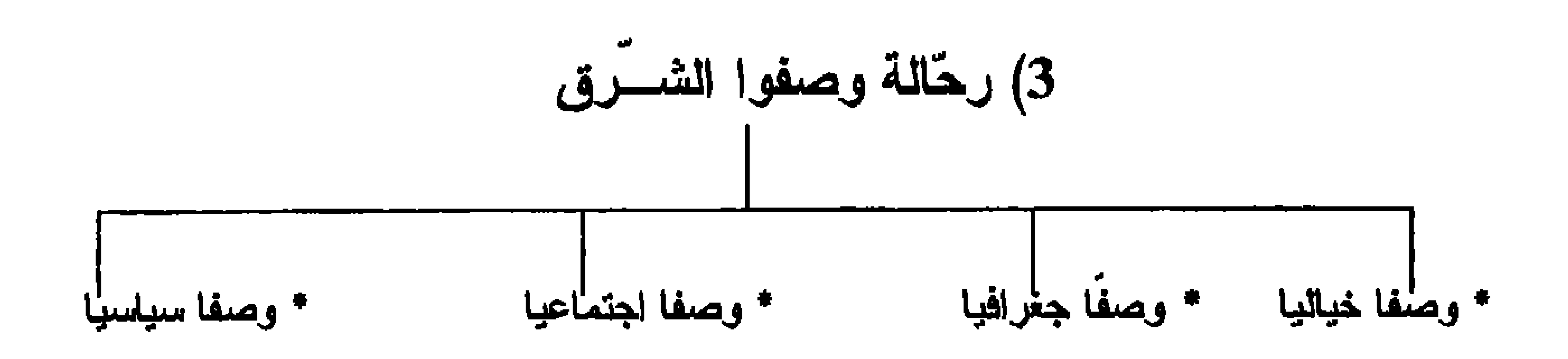
*الإسلام * اليهوديّة * البوذيّة

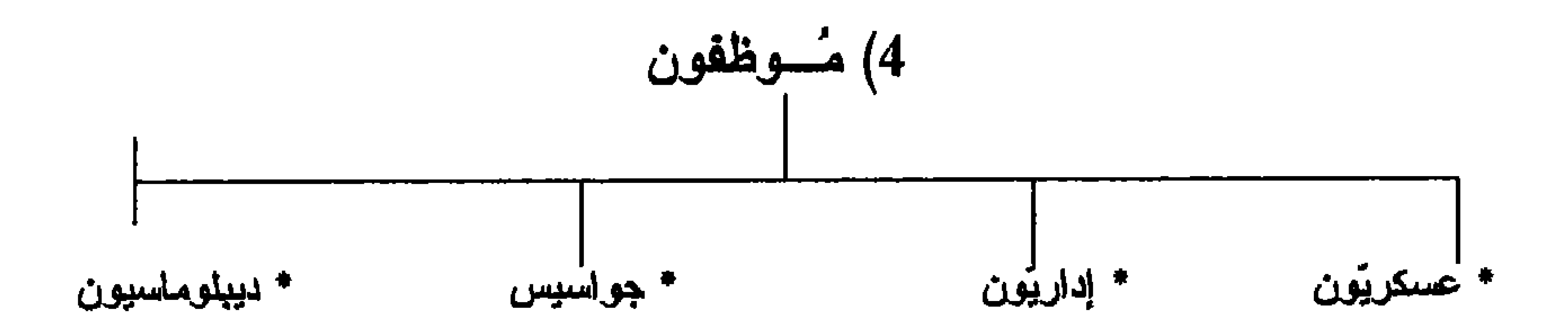
* الباحثون في تاريخه

*قديم *حديث

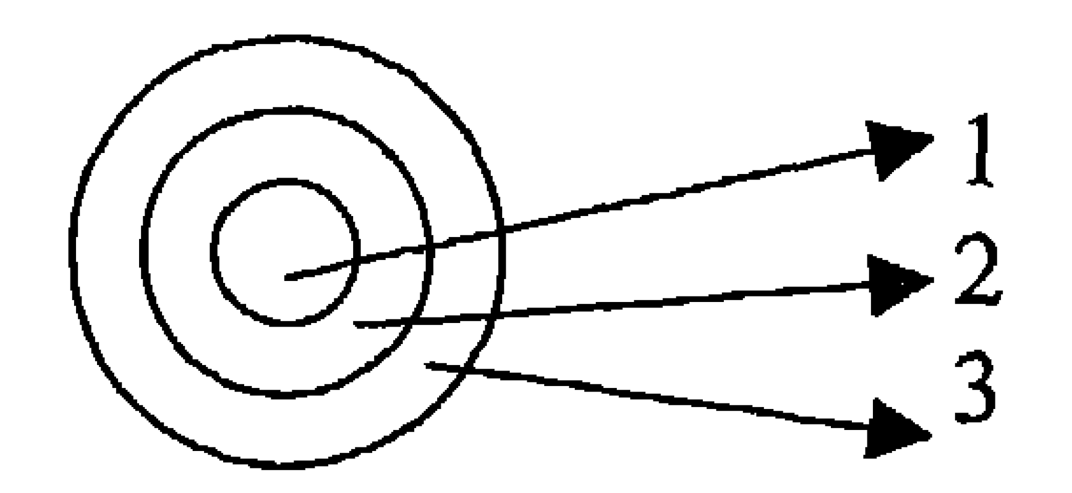
* الباحثون في فنونه


2) المبدعون
* كتّــاب
* رسّامون
* مهندسون معماريون
* قصة
* رواية
* شعر


3) رحّالة وصفوا الشـــرّق
* وصفا خياليا
* وصفًا جغرافيا
* وصفا اجتماعيا
* وصفا سياسيا

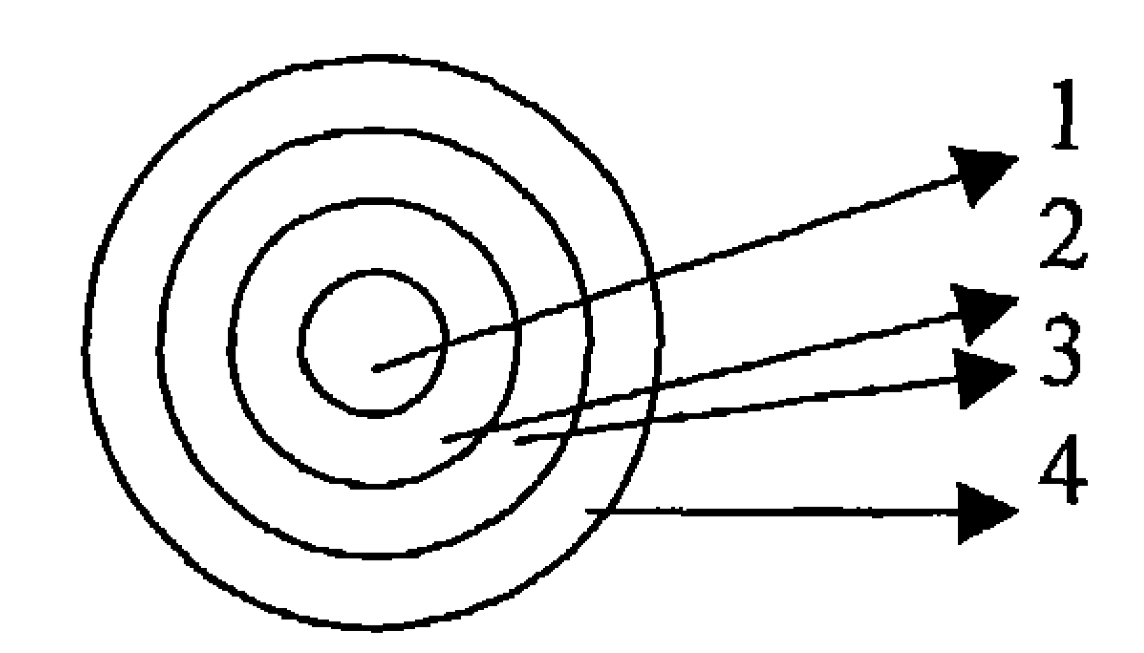

4) مُـــوظفون
* عسكريّون
* إداريّون
* جواسيس
* ديبلوماسيون

II- المستشرقون من حيث الاهتمام



1) المهتمّون بالحضارة الأندلسيّة .
2) المهتمّون بالحضارة العربية الإسلاميّة .
3) المهتمّون بالحضارة الشرقيّة عامّة .

III- المستشرقون وتوزّعهم الجغرافي



انطلقت الدّراسات الاستشراقيّة من إسبانيا (رقم1) لتشمل أروبا خلال القرون الوسطى (رقم2) . وفي العصر الحديث تعدّدت مراكز الاستشراق غربا فشملت أمريكا الشمالية (رقم3) وشرقا فشملت الاتحاد السّوفياتي ودول شرق أروبا (رقم 4).

الاستشراق من حيث الهدف

الهدف من الاستشراق واحد هو المعرفة : معرفة الشرق من حيث دياناته وتراثه ولغاته وحضاراته وتاريخه وعاداته وتقاليده ، وكشف عن أمزجته وعقليات شعوبه، واطلاع على خيراته وكنوزه ، وتلمس لمواطن القوّة والضّعف فيه .

وإذا تحقّقت هذه المعرفة المتشعّبة وظّفت :

1 ــ لغايات البحث العلمي الموضوعي، والجامعي الأكاديمي .

2 ــ لغايات التّبشير الدّيني ونشر المسيحيّة وخاصّة في الوسطين الإسلامي واليهودي .

3 ــ لغايات الاستعمار المباشر السّياسي والعسكري .

4 ــ لغايات الاستعمار غير المباشر الثقافي والاقتصادي قصد فرض نمط عيش الغرب على سلوك الشرق، وذلك ليسهل استغلاله بأقلّ ما يمكن من الجهود وبأكثر ما يمكن من الفوائد .

وبين هذه الوظائف الأربعة لهذا الهدف الوحيد تكامل : فكلّ وظيفة منها تخدم الوظيفة الأخرى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وتهيّئ لها فرص التّواصل والنّجاح .

فذلكة تاريخيّة :

الأندلس بين المدّ والجزر

تطلق كلمة الأندلس من حيث التسمية على إقليم شبه الجزيرة الإيبيريّة الذي خضعَ للسّلطة السّياسيّة الإسلاميّة من بداية الفتح العربي في نهاية القرن 1 /7 إلى نهاية القرن 9 / 15 .

والاسم أطلقه سكان الإقليم من المسلمين ونطقوه بكيفيّتين : الأولى باللّغة العربيّة الفصحى " أندلس .." والثّانية بلغتهم الدّارجة " أندلوس..." وهناك تسمية غير عربيّة نجدها في بحوث المستشرقين وهي " إسبانيا الإسلاميّة " ، وهذه التّسمية فيها إيحاء بالتفوّق العددي للعنصر الإسباني القوطي على العنصر العربي في المجتمع الأندلسي بعد أن استقرّ العرب بشبه الجزيرة الإيبيريّة ، وبأن الوجود العربي- وإن طال ـ هو وجود طارئ وسطحي على جوهر التاريخ الإسباني .

ومن حيث التسمية كذلك هناك مصطلح " أنْدَلُثِي" Andalousie: وهي تسمية تطلق على جنوب إسبانيا اليوم، وفيه تبرز آثار الماضي الأندلسي المجيد كجامع قرطبة وصومعة إشبيلية وقصر الحمراء . ويجب أن نميّز هذه التسمية عن مصطلح " أندلس" الذي كان يطلق على كامل شبه الجزيرة الإيبيريّة بما فيها البرتغال زمن الحكم العربي الإسلامي .

ولئن أطلق على الأندلس تسمية " جزيرة " وهي في الحقيقة " شبه جزيرة " ، فلأنّ العرب في لغتهم يطلقون مصطلح " جزيرة " للدّلالة على أرض محاطة بالبحر من الجهات الأربع ، وكذلك يطلقونه على شبه الجزيرة، وهي الأرض التي يُحيط بها البحر من جهات ثلاث .

إنّ حدود الأندلس جغرافيا طيلة ثمانية قرون من الحكم العربي الإسلامي لم تكن مستقرّة ولا ثابتة ، ويبرز عدم الاستقرار هذا بكلّ وضوح من خلال الخرائط التالية :

1- الأندلس في عهد الولاة
756 / 138 - 711 / 93

2 } الأندلس في عهد الإمارة الأمويّة
929/317-956/138
الأندلس في عهد الخلافة الأمويّة
1030 / 422 - 929 / 317

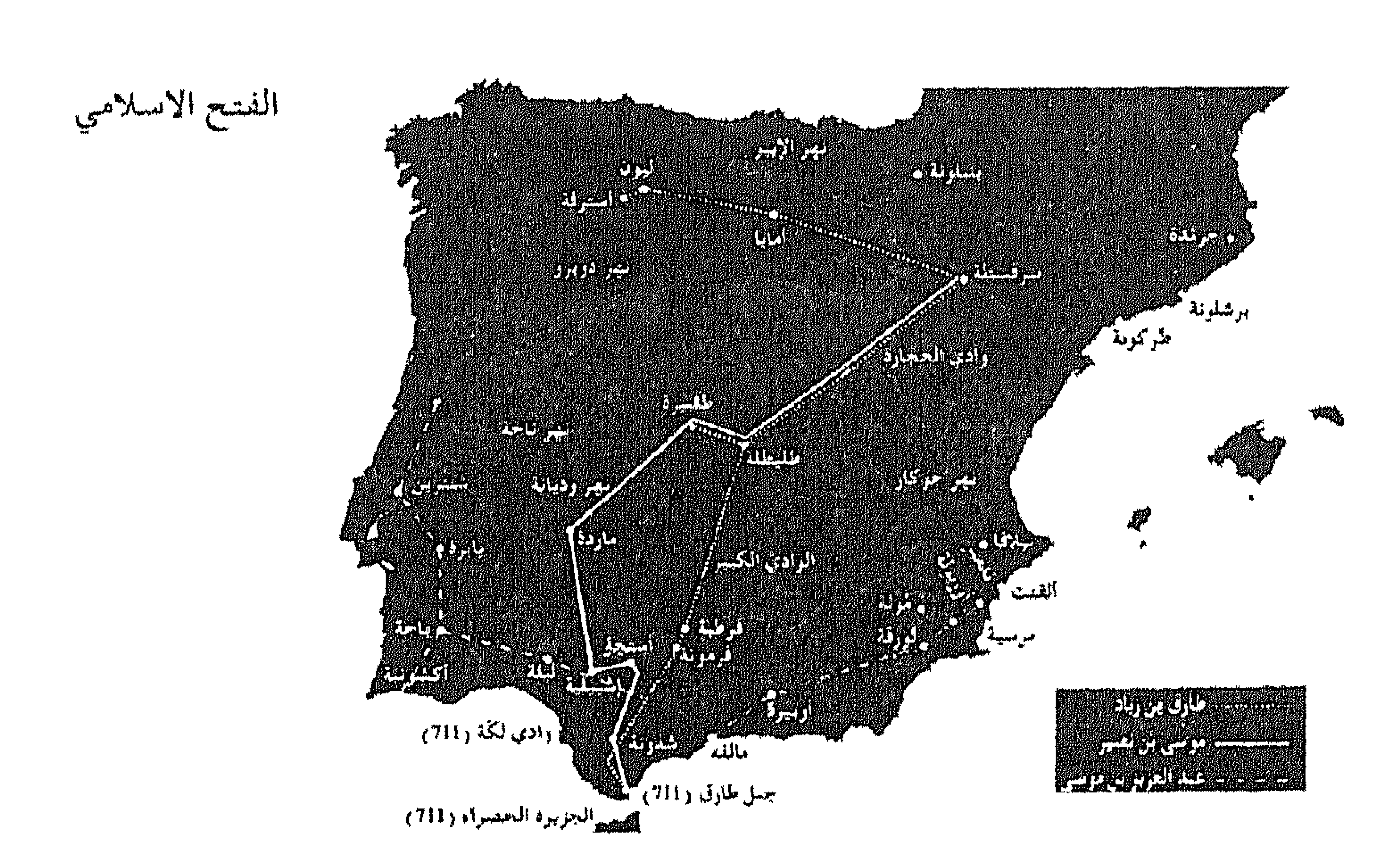
3- الأندلس في عهد ملوك الطّوائف
1086 / 479 -1008 /399

4- الأندلس في عهد المرابطين
1151 /546 - 1086 /479

5- الأندلس في عهد الموحّدين
1232 /630 - 1151 /546

6- الأندلس في عهد بني الأحمر
1492 /897- 1232 /630

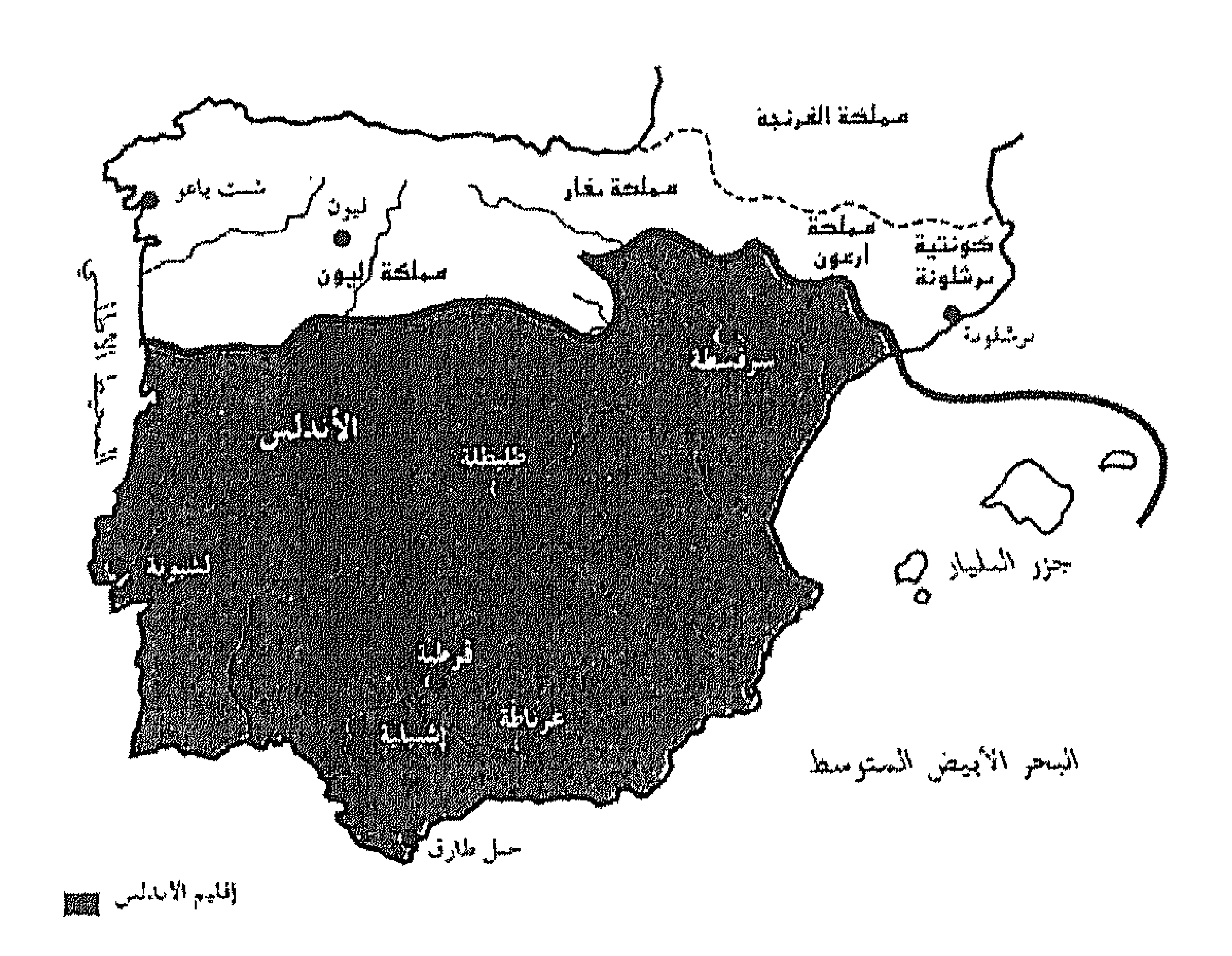
ولئن كان الوجود العربي في الأندلس متحرّكا سياسيّا-جغرافيّا ، كما هو ملاحظ من خلال الخرائط السّابقة ، فهناك ثلاثة ثوابت في تاريخ الأندلس : أوّلا : انتماء مجتمعها إلى نمط شرقيّ يختلف عن نمط المجتمع الإقطاعي القائم في أروبّا المسيحيّة، ثانيا : انتماء الأندلس إلى المغرب العربي في إطار فضاء ثقافي-سياسي مشترك : كانت فيه الأندلس هي المسيطرة سياسيا في القرن 4/ 10 (عهد الخلافة) ، ثمّ أصبحت تابعة للمغرب في عهد الدّولتين المرابطيّة ثمّ الموحّديّة ، مع بقائها متفوّقة حضاريّا خاصّة بعد أفول نجم القيروان بسقوطها تحت ضربات الزّحف الهلالي في منتصف القرن 11/5، ثالثا: انتماء الأندلس إلى العالم العربي - الإسلامي دينيّا وثقافيا وفكريّا في كامل المراحل السياسيّة والعسكريّة التي مرّت بها.(انظر الخرائط في الصفحات الموالية، وهي مأخوذة بشيء مِن التصرّف من كتاب م. مورينا: الأندلس والأندلسيّون).



الأندلس في عهد الولاة

756 / 138 – 711 / 93

الخلافة الأمويّة
بالأندلس
في القرن العاشر



الأندلس في عهد الإمارة الأمويّة

138 / 956 – 317 / 929

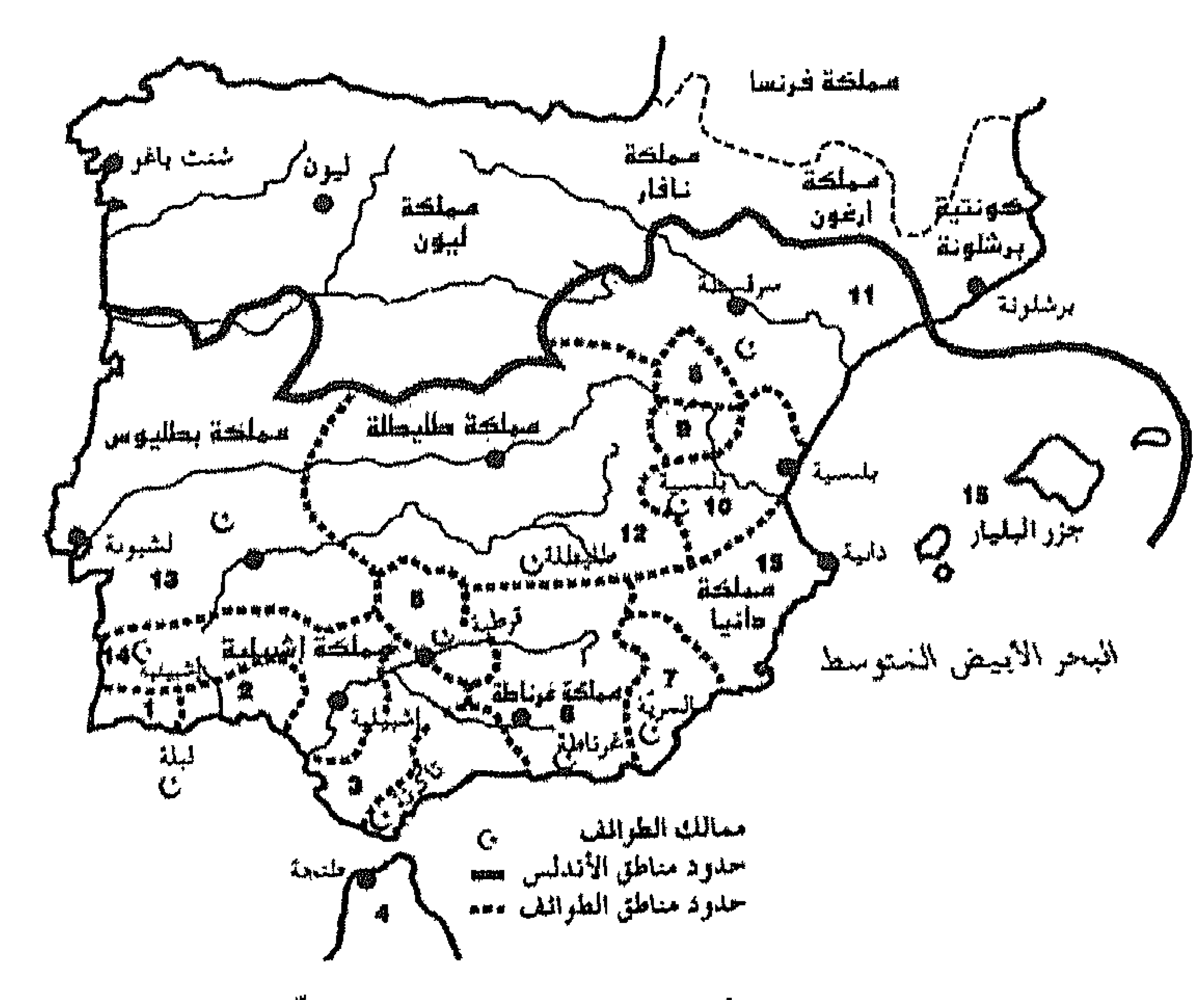
الأندلس في عهد الخلافة الأمويّة

317 / 929 – 422 / 1030

ممالك الطوائف

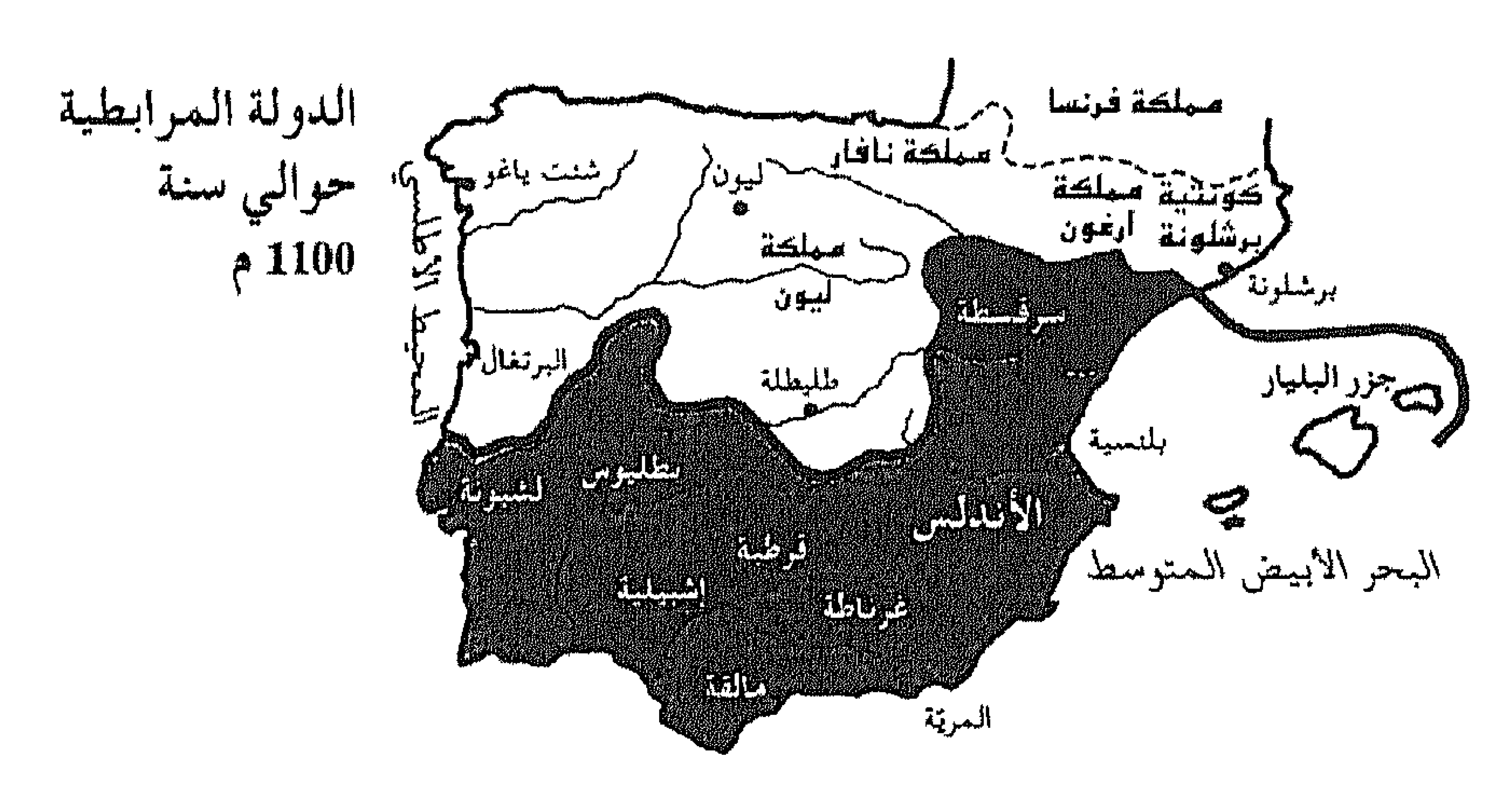
ملوك الطوائف

1. بنو مزين
2. بنو بحري (لبلة)
3. بنو برزال (تاكُرنة)
4. بنو حمود (طنجة)
5. بنو جوهر (قرطبة)
6. بنو زيري (غرناطة)
7. بنو صمادح (المريّة)
8. بنو رزين
9. بنو قاسم
10. العامريون (بلنسية)
11. بنو هود (سرقسطة)
12. بنو ذي النون (طليطلة)
13. بنو الأفطس (بطليوس)
14. بنو عباد (إشبيلية)
15. بنو عامر (دانية)



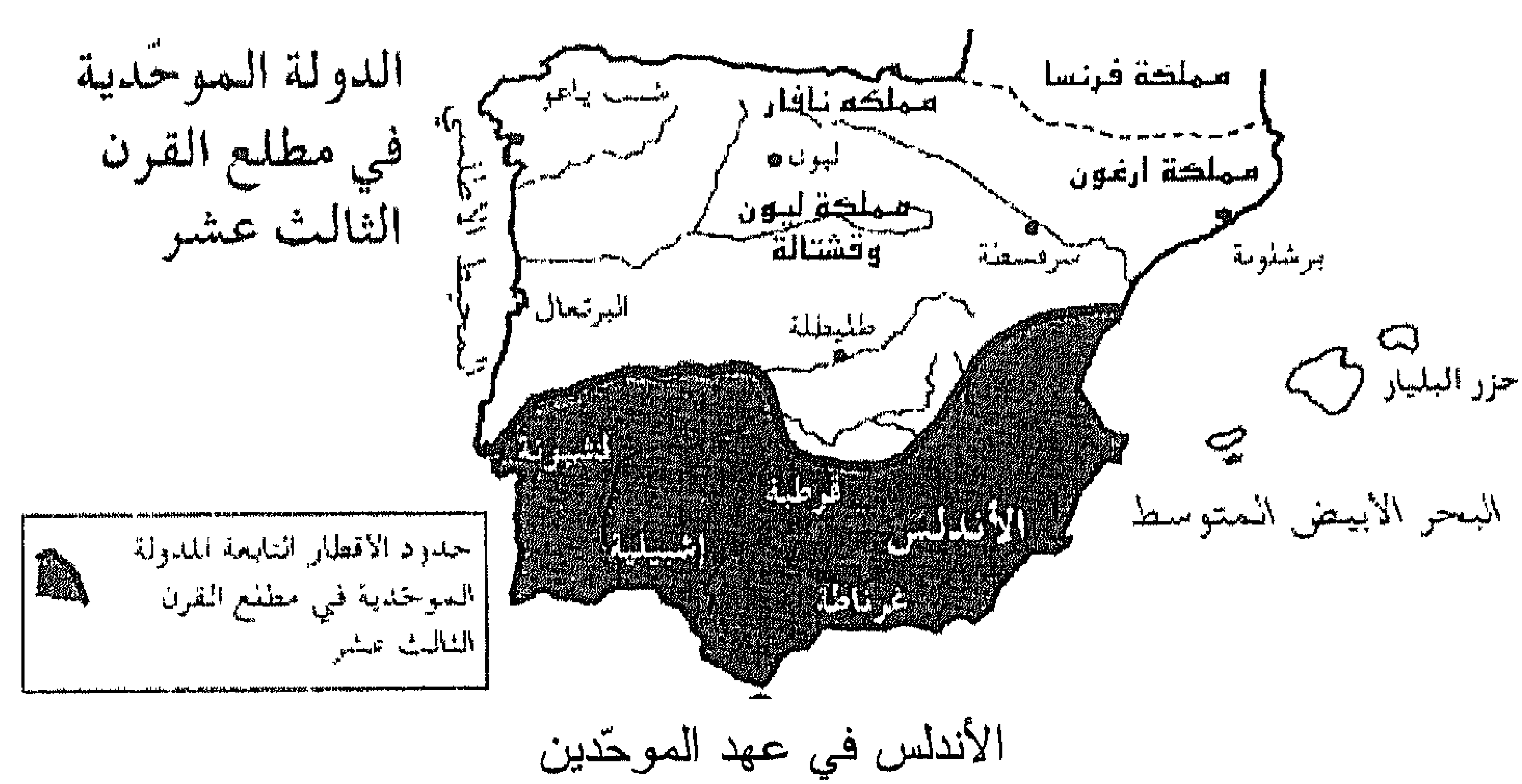
الأندلس في عهد ملوك الطّوائف

1086 / 479 –1008 /399



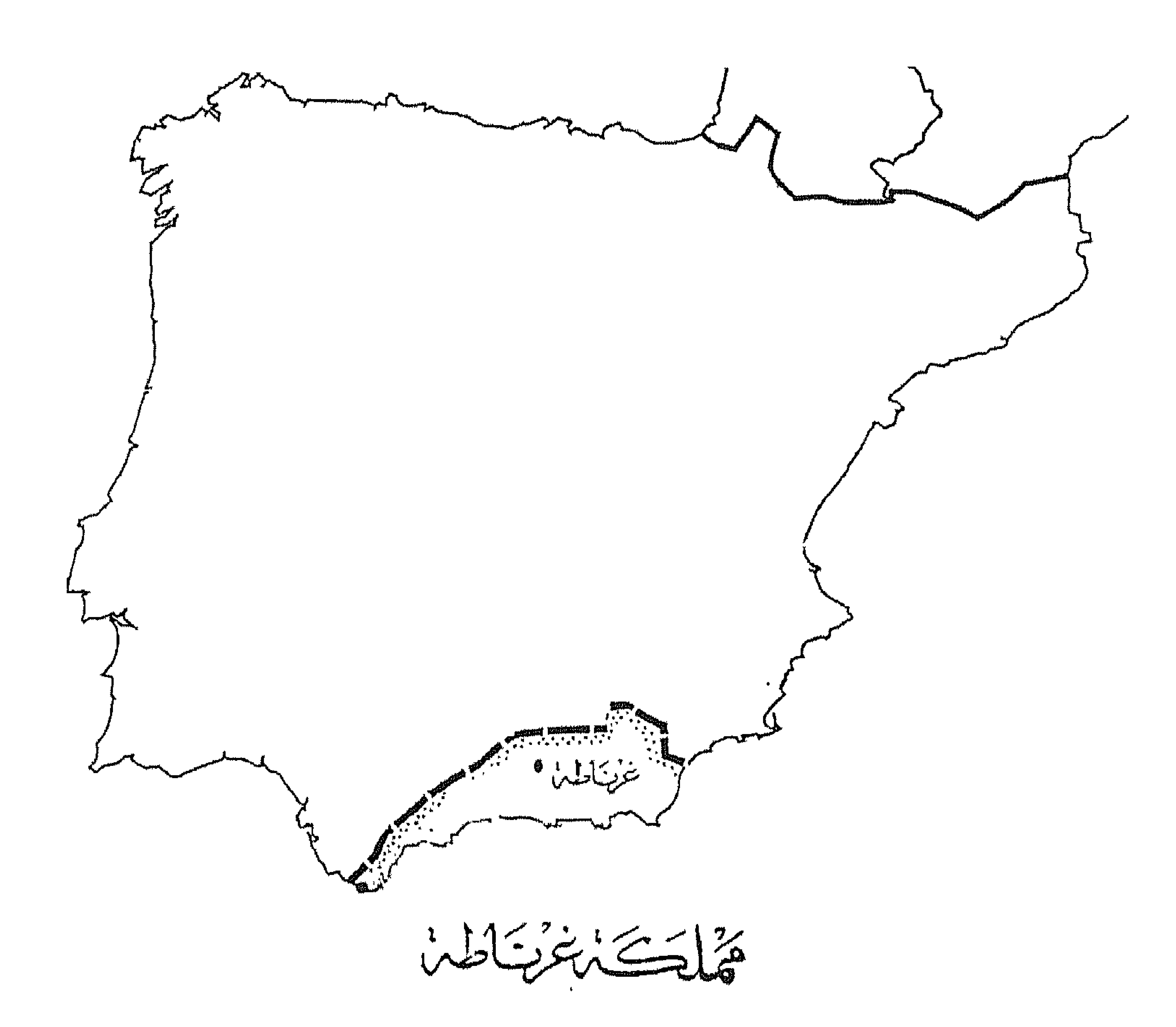
الأندلس في عهد المرابطين

479/ 1086 – 546/ 1151



الأندلس في عهد الموحّدين

546/ 1151 – 630/ 1232



الأندلس في عهد بني الأحمر

630/ 1232 –897/ 1492

I –الفصـــــل الأوّل : البـــــــذور

مقدّمة :

مثــّل الإسلام منذ القرن 7/1 بفتوحاته السّريعة على ضفاف البحر الأبيض المتوسّط شرقا وغربا وما بينهما الخطر الأكبر على النــصرانيّة . ودقــت أجراس الكنائس في كامل أنحاء أروبا محذّرة من قدوم زائر غريب . فقد استولت جيوش هذا الفاتح على الشـــام وحاصرت القسطنطينيّة شرقا في نهاية القرن 7/1 . ووصلت جيوشه غربا إلى بواتييه في بلاد الغال بعد أن اخترقت جبال البرينيه في القرن 8/2 وهدّدوا روما عاصمة الكاثوليكيّة بعد استيلائهم، وسطا، على بعض مناطق الجنوب في إيطاليا وخاصّة صقلية في القرن 9/3 .

وهكذا أصبح هذا البحر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة – كما عبّر عن ذلك ابن خلدون– بحرًا عربيا . لهم عليه سيادة مطلقة بتفوّقهم العسكري الواضح الجليّ . ولاشكّ أنّ هذا التفوّق ولّد في نفوس النــصارى الخوف، فاستكان بعضهم لحكمه وربض غيرهم على تخومه يترقبون الفرصة لهجوم مضاد .

ويبدو أنّ البوّابة الغربيّة والمقصود بها شبه الجزيرة الإيبيريّة كانت نموذجا لهاتين الظّاهرتين . فقد استقرّ بها الفاتحون من عرب وبربر إلى جانب سكان إسبانيا الأصليّين من القوط . ولم يكن الدّين الجديد – أي الإسلام – ليسمح للفاتحين باجتثاث السكّان الأصليين من أرضهم وطردهم خارجها، وخاصّة إذا تمّ الفتح صلحا لا عنوة . كما لم يكن يسمح لهم بجبر أصحاب الدّيانتين اليهوديّة والنّصرانية على ترك دينهم . بل بالعكس تركوا لهم كامل الحرّية لإقامة شعائرهم وتنظيم حياتهم ، حسب ما اعتادوا عليه من تقاليدهم ونظمهم . والأمثلة على ذلك نصّا وتطبيقا كثيرة ونكتفي بأحدها ، فقد جاء في منشور الوالي العربي لقلمريّة ما يلي : " يكون على مسيحيي قلمريّة قُمص يلي أمورهم ، ويحكم فيهم بالسّداد ، وكما كانت عادة المسيحيّين في الأحكام . وله أن يفصل في الخصومات التي تقع بينهم. ولكنّه لا يقدر أن يحكم على أحد بالقتل إلاّ بعد موافقة قاضي المسلمين ... ويكون لكلّ مدينة من المدن الصّغيرة قاض

مسيحي خاصّ بها يحكم فيها بالعدل ويكف المنازعات . وإن أهان مسيحيّ مسلما عومل بشرع المسلمين" (1)

وهكذا ما إن أسقط الفاتحون دولة القوط بشبه الجزيرة الإيبيريّة ، واستقرّوا بربوعها، وبدأ الإسلام ينتشر بين ظهرانيها حتى ظهر مجتمع أندلسي ، تعايشت فيه أجناس ثلاثة من عرب وبربر وقوط ، وديانات ثلاث من إسلام ونصرانيّة ويهوديّة . ولم يخل هذا التّعايش من انسجام بين الأجناس وتسامح بين الأديان في ظلّ حكم إسلامي يؤمن – نسبيا – بحق المواطنة، ومبدؤها الأساسي : المساواة في الحقوق والواجبات .

ولئن دخل السكّان من العنصر القوطي في الإسلام عن اقتناع فعُرِفوا بالمولّدين ، فإنّ قسما لا يستهان به منهم احتفظوا بدينهم، ولكنّهم لم يستطيعوا – لسبب أو لآخر- البقاء على هامش المجتمع الأندلسي، فاندمجوا فيه اجتماعيا وخاصّة لغويّا ، وأصبح هؤلاء يعرفون بالمستعربين(2) ، تمييزًا لهم عن المولّدين الذين أصبحوا جزءا لا يتجزأ من المجتمع الأندلسي المسلم : عقيدة ولغة .

وعلى أرض الأندلس – وفي ظلّ الدّولة الإسلاميّة – وضعت البذور الأولى للاستشراق (أو الاستعراب) الإسباني، فقد عمل أمراء بني أميّة وخلفاؤهم وخاصّة النّاصر والمستنصر خلال القرن 10/4 على جلب أمّهات الكتب العلميّة والفلسفيّة من أماكن متعدّدة وخاصّة بغداد والقسطنطينيّة ، فتكوّنت في بلاط قرطبة مكتبة من أثرى المكتبات في كامل أروبّا . ولم تكن هذه المكتبة وغيرها من المكتبات الخاصّة والعامّة ببلاد الأندلس حكرًا على المسلمين ، فقد كان لليهود والنّصارى المستعربين داخل الأندلس كامل الحقّ في الاستفادة منها : فالكلّ يجمعهم قاسم مشترك هو هاجس الإعجاب بالحضارة العربيّة المتفوّقة ، والرّغبة في الكتابة والحديث بلغتها . وينضاف

---

(1) شكيب أرسلان : وهذا عكس ما سيفعله الإسبان عندما تختلّ موازين القوى لصالحهم في نهاية الوجود العربي الإسلامي بالأندلس .

(2) يمكن أن نعتبر أنّ مصطلح " مستعرب" ظهر منذ القرون الأولى للوجود العربي الإسلامي في الأندلس.

إلى هؤلاء المستعربين طلاب أروبا ممّن كانوا يفدون على الأندلس تحدوهم أيضا الرّغبة في النّهل من المعارف العربيّة قبل العودة إلى بلدانهم ونشر ما تعلّموه فيها .

وهكذا نلاحظ أنّ بذور الاستشراق الإسباني نشأت أوّل ما نشأت من بذور داخليّة وبأخرى خارجيّة .

1) **البذور الدّاخلية** أو المستعربون من داخل الأندلس : وهؤلاء أصناف :

أ) هناك من المستعربين من كانت لهم رغبة في التّعريف بتراثهم الدّيني – لغاية من الغايات لم تكن واضحة في هذه الفترة – لدى أصحاب هذه الحضارة الجديدة ، وذلك بنقل هذا التّراث من اللاّتينيّة إلى العربيّة . وخير مثال على ذلك ما قام به المستعرب القسّ بسِنْت من تعريب لقوانين وقرارات كنسيّة من اللاّتينيّة إلى العربيّة ، وذيّلها بمدائح من نظمه ، وأهدى كتابه إلى أسقف مستعرب اسمه عبد الملك . بل لقد وصل الأمر بالمستعربين إلى درجة أنهم كانوا يستحسنون القيام ببعض طقوسهم الدّينيّة باللّغة العربيّة ، فعرّبوا بعض هذه الطّقوس .

وفي عهد الأمير عبد الله قام المستعرب حفص بن ألبر القوطي[3] قاضي العجم سنة297 / 909 بتعريب زبور داود عليه السّلام رجزًا . وهو رجز ، يرى الأستاذ بنشريفة، أنّه يشبه رجز معاصره ابن عبد ربه مع اختلاف في الموضوع[4] وعدد الأبيات[5] .

ولم يكن الإعجاب باللّغة العربيّة والتّهافت على دراستها والتّبجّح باستعمالها ليرضي بعض كبار رجال الدّين أمثال الرّاهب ألبرو القرطبي ، فقد حفظت لنا المصادر عنه قولة فيها تعبير عن ألم عميق وحيرة كبيرة وحسرة شديدة أمام مَا كان يشاهده من سلوك إخوانه في الدّين قال : " إن إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة أشعار العرب وحكاياتهم ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة

---

[3] ذكر ابن القوطيّة في كتاب افتتاح الأندلس أنّه من سلالة غيطشة آخر ملوك القـــوط بإسبانيا(مقال بنشريفة: الجذور التّاريخيّة للاستعراب الإسباني : ص 66) .

[4] موضوع رجز ابن عبد ربّه دنيوي وموضوع رجز حفص ديني .(المرجع السّابق)

[5] بلغت أبيات رجز حفص 5500 شطر .(المرجع السّابق) .

المسلمين لا ليردّوا عليها وينقضوها، وإنما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوبا عربيا جميلا صحيحا، وأين تجد الآن واحدا – من غير رجال الدين – يقرأ الشروح التي كُتبت على الأناجيل المقدسة ؟ ومَن سوَى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء والمرسلين؟ يا للحسرة !

إن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها ويُؤمنون بها ويقبلون عليها في نَهَم ، وهم ينفقون أموالاً طائلة في جمع كتبها ويصرحون في كل مكان: هذه الآداب حقيقة بالإعجاب، فإذا حدثتهم عن الكتب النصرانيّة أجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا إليها انتباههم، يا للألم! لقد أنسي النصارى حتى لغتهم فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحدا يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتابا سليما من الخطإ. فأما عن الكتابة في لغة العرب فإنك واجد فيهم عددا عظيما يجيدونها في أسلوب منمّق، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنّا وجمالا" (6) .

ويبدو أنّ هذا الإعجاب كان له تأثير نسبي من النّاحية الدّينيّة في جمهور المستعربين، فقد رفضوا في إشبيلية الاحتفال بعيد ميلاد المسيح بالطّريقة التي أوصى بها مجمع نيقيه Nicea فاعتُبر أسقفها من الهراطقة . وزاد الطين بلّة أسقف طليطلة أليبندي Elipande عندما أكّد على أنّ المسيح ما دام إنسانا فلا يمكن أن يكون ابنا طبيعيّا لله (7) .

ولم يكن هذا الإعجاب من جهة وخروج المستعربين عن بعض تعاليم الكنيسة الكاثوليكيّة ، ولو نسبيا ، ليرضي رجال الدّين المتعصّبين ، فكان ردّ فعلهم مقيتا ، أفسدوا به جوّ التّعايش السّلمي بين المسلمين والنّصارى في شبه الجزيرة الإيبيريّة وتمثل ردّ الفعل في تحريض البسطاء من المسيحيّين على النّيل من الإسلام ونبيّه بألفاظ مشينة وعبارات قبيحة ، وقد عرفت هذه الحركة بحركة الاستخفاف . وكانت غايتها – حسب زعمهم – طلب الشّهادة على يد المسلمين .

---

(6) R.Menendez Pidal : El Idioma Español p. 32.

(7) عاقل نبيه : المستشرقون ص 176 .

ب) وهناك من المستعربين من أتقن العربيّة طموحا منهم للوصول إلى مناصب سامية في الدّولة الإسلاميّة . وفعلا لقد وصل بعض المستعربين إلى أعلى الدّرجات في دواوين الدّولة ، كالقومس ربيع الذي كانت له حظوة لدى الحكم الرّبضي ، وقرمس بن أنتيان كاتب الرّسائل في عهد الأمير محمد ، وقد نوّه كبير مؤرّخي الأندلس ابن حيان بفصاحته وبلاغته. وهو أوّل من سنّ لكتّاب الدّواوين من مسلمين ويهود ونصارى تعطيل الخدمة يوم الأحد من الأسبوع ، والأسقف ربيع بن زيد الذي كلّفه عبد الرّحمان النّاصر بسفارات وعهد له بمهمّات ، وينسب لهذا الأسقف خطأ كتاب " تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان " المعروف بتقويم قرطبة ، بينما الكتاب هو من تأليف معاصره المسلم عريب بن سعد[8] .

ج) وهناك من المستعربين من داخل شبه الجزيرة الإيبيريّة من كان من ذوي القدرة العلميّة أو أصحاب الحنكة الإداريّة أو القيادة العسكريّة . وخير مثال على الصنف الأوّل: الوزير اليهودي المستعرب حسداي بن شبروت (905/294 – 975/365) زعيم الطائفة اليهوديّة ببلاد الأندلس . عاش في عهدي الناصر والحكم، وكان طبيبا لهما . كان يتقن العربيّة والعبريّة واللاّتينيّة والرّومانثيّة الدّارجة ببلاد الأندلس . عمل ناظرا في الدّيوانة ، وسفيرًا مفاوضا لبلاط قرطبة مع سفراء بيزنطا وألمانيا . سافر إلى ليون وعاد، ومعه ملكة نبارّة وحفيدها سانشو ، إلى قرطبة سنة 958/347 .

قام بمعيّة القسّ نيكلاس اليوناني بدراسة المادّة الطبّيّة ومراجعتها لديسقوريدوس، وهي المادّة التي كان قد ترجمها لأوّل مرّة حنين بن إسحاق في بغداد ، وذلك بالاعتماد على مخطوطة جلبها الخليفة الناصر خصّيصا من القسطنطينيّة .

كانت له علاقات وطيدة بيهود شبه الجزيرة الإيبيريّة ، والشرق وإيطاليا البيزنطيّة وتولوز وبلاد الخزر . وكان مجلسه مجمعا لكبار العلماء والشعراء بالعبريّة . ولقد ساعد على تطوّر الدّراسات العبريّة بالأندلس . وكان لجهوده التي كانت تشجعها الخلافة ، نتائج هامّة في استقلاليّة يهود الأندلس إداريا وثقافيا عن اليهود خارجها[9] .

---

[8] مقال بنشريفة ص 66 .

[9] EI(2)/III/ ص 266 مقال: "حسداي بن شبروت" ، كتبه م . برلمان M.Perlmann

وخير مثال على الصّنف الثاني: المستعرب دافيدس سسنندو المعروف في الرّواية العربيّة بششنند : أصله من مقاطعة بيرة في شمالي البرتغال، أسر حدثا في غارة قام بها القاضي ابن عبّاد في منطقة قُلُمْرِيّة ، ثمّ أخذ إلى إشبيلية ، ورُبّي مع فتيان القصر، ولمّا تولّى المعتضد قدّر مواهبه ومعرفته بشؤون الجزيرة ، فنظمه في سلك وزرائه فنال ثقته وعلت منزلته. وخوفا من سعاية رجال البلاط فرّ من إشبيلية والتجأ إلى بلاط فرناندو ملك قشتالة ، فرحب به ونظمه ضمن مستشاريه لِما كان له من معرفة تامّة باللّغة العربيّة والدّين الإسلامي وأحوال المسلمين وعاداتهم في بلاد الأندلس .

ولمّا استولى فرناندو على مدينة قُلمريّة 1064/456 عيّنه حاكما عليها . وكان يسمّى بالوزير حسب التقاليد العربيّة . خدم بعد فرناندو ولده ألفونسو . وهو الذي تفاوض مع أعيان طليطلة لتسليم المدينة صلحا لهذا الملك الذي عيّنه حاكما عليها بعد سقوطها 478 / 1085 فنال ثقة أهلها من مسلمين ونصارى . وقد حاول سسنندو أن يثني القسّ برنار الفرنسي عن عمليّة الاستيلاء على الجامع الأعظم بطليطلة ولكنه فشل . توفي سنة 484 / 1091[10].

وخير مثال على الصّنف الثالث " السيّد " ، وهو فارس قشتالي اسمه الأصلي ردريغو دياث دي بيبار . تلقّب بالسيّد El Cid تحريفا للكلمة العربيّة " السيّد " . وقد أطلقه عليه أهل الأندلس عندما كان يخدم في بعض بلاطاتهم ويحارب معهم . وتلقّب بالكمبيادور El Campeador ومعناها المحارب الباسل لشجاعته وجرأته وشغفه بالقتال. وكان السيّد مع هذه الصّفات النبيلة مثالا للغدر ، لا ذمام له يبيع العدوّ والصّديق معًا، وينتهز الفرصة بأيّ ثمن . وهو في حروبه لا يقيم أي اعتبار للعامل الدّيني أو للعامل القومي فتراه يؤجّر نفسه وصحبه تارة للأمراء المسلمين وتارة للأمراء النصارى .

وما يهمّنا من السيّد في الإطار الذي وضعناه فيه هو أنّه كان ، بعد المدّة التي قضاها في بلاط سرقسطة ، عارفا باللغة العربيّة ، مطلّعًا على تقاليد العرب وعاداتهم، ملمّا بنقاط الضعف والقوّة لدى أمراء الطّوائف . وقد استغلّ كلّ ذلك لصالح

---

[10] عبدالله عنان: دول الطّوائف. الطبعة الثانية – مصر 1969. ص58، ص86، ص112، ص226.

ملوك قشتالة في بعض الفترات ولصالحه في أكثر الأحيان ، ولئن استطاع أن يتوّج مغامراته العسكريّة بالاستحواذ على بلنسيّة رغم أنف القشتاليّين والمرابطين فقد توفّي حزينا على مقتل ابنه الوحيد ، وهو محاصر في بلنسية سنة493 / 1099[11].

إنّهم رموز ثلاثة لمن أتقنوا لغة العرب وعاشوا بين ظهرانيهم ، فمثّلوا البذور الثلاث للاستشراق في إسبانيا وفي كامل أروبا : بذرة الاتجاه العلمي، وبذرة الاتجاه الإداري وبذرة الاتّجاه العسكري[12].

2) البذور الخارجيّة : أو المستعربون من خارج الأندلس :

لقد كان القرن 10/4 عن جدارة القرن الذي أصبحت فيه أروبا تنظر إلى العالم الإسلامي- وخاصّة واجهته المتقدّمة بشبه الجزيرة الإيبيريّة – نظرة إعجاب ولّدت فيه رغبة شديدة لمعرفة سرّ تطوّره وتفوّقه . وكـــما وقع في بغداد في القرن 8/2 والقرن 9/3 من انكباب العرب، في مرحلة أولى ، على ترجمة التّراث العلمي للفكر اليوناني، بدأت الأديرة منذ القرن 10/4 في أروبا وخاصّة في شمال إسبانيا المحتكّ احتكاكا مباشرا بالعرب بترجمة مؤلفاتهم في الطبّ والرّياضيّات والفَلك . من مراكز النّقل هذه يمكن أن نذكر :

أ ـــ دير سنْتا ماريا في ريبول من مقاطعة قتلانيا الإسبانيّة ، وكان له الدّور الفعّال في عمليّة النّقل . وإلى هذه الفترة تنتمي النّصوص الخاصّة بطريقة العرب في العمل الحسابي وبالأرقام الجديدة المدعوّة بحروف الغبار. وحفظت هذه النصوص ضمن أعمال المجموعة الطبيعيّة المشهورة Albeldese Emilinense .

وفي هذا الدّير أخذ عن أساتذته أحدُ روّاد الاستشراق في كامل أروبا وهو الرّاهب الفرنسي جربارت دي أورلياك Verbert de Oraliac (327 /938 ـ 394/1003)، وبقي فيه من 357 / 967 إلى 360/ 970 . واستفاد من حركة الترجمة التي قامت فيه، وتعلّم الحساب والفلك في إشبيلية وقرطبة من مدن الأندلس ، حتى أصبح أوسع علماء

---

[11] المرجع السّابق : ص.ص 232-251 .

[12] وليس من باب الصّدف أن تصل رسالة تبشيريّة إلى بلاط المقتدر بن هـــود بسرقسطة من راهب فرنســـي، ويقـوم بالرّدّ عليها القاضي أبو الوليد الباجي في القرن 11/5 فتلك الرّسالـــة رمـــز للاتجاه الرّابع فـــي الاستشراق وهو الاتجاه التبشيري .

عصره ثقافة بالعربيّة والرّياضيات . وكان زيادة على ذلك أستاذا قديرًا في المنطق والأدب اللاّتينيين . قصد روما ، ولثقافته تلك ، أصبح بابا الكنيسة الكاثوليكيّة تحت اسم سلفستر الثاني (390 / 999 – 394 /1003) . أمر بإنشاء معاهد لتدريس اللّغة العربيّة في أروبا كمعهد روما ومعهد راينس Reins ، وهو أوّل من نشر الأرقام العربيّة في أروبا بما فيها الصّفر ، وترجم بعض الكتب الرّياضيّة والفلكيّة . وله دراسة عن كتاب إقليدس بالعربيّة[13].

ب) مركز برشلونة : وقد تمّت فيه خلال القرن 10/4 ترجمة ثلاثة كتب في "عمل الأسطرلاب" ، كما ترجم فيه لُبتوس كتابا في الفلك بأمر من القسّ جربرت .

وبرز في هذا المركز المترجم بلاتون دِي تِفُلي Platon de Tivoli ، وقام بالتعاون مع اليهودي إبْرَاهَم بَارْحِيّ Abraham Barhiyya بترجمة كتب في الهندسة والفلك إلى اللاّتينيّة . وهي مؤلّفات كانت بالعربيّة وكان بعضها بالعبريّة . ويمكن أن نعتبر أنّ مركز برشلونة قام في بداية القرن 12/6 بترجمة الكتب العربيّة إلى العبريّة ، عكس ما سيقع في مدرسة الترجمة بطليطلة من ترجمة الكتب العربيّة إلى اللاّتينيّة أو القشتاليّة ، وأكيد أنّ المترجمين من العلماء اليهود لم يكتفوا بالترجمة إلى العبريّة ، بل قاموا في مرحلة موالية بالتّأليف في لغتهم . ومن أشهر هؤلاء ابن عزرا المعروف بابْرَاهمة جودِياس Abrahma Judaeus (ت1167/563) .

ج) مركز طرّزونة : قبل أن تظهر مدرسة الترجمة بطليطلة سبقها مركز آخر مهّد لها وهو ديرطرّزونة(وهي مدينة قرب سرقسطة) .

وقبل أن يظهر يحيى الإشبيلي وزميله جندسلفي في طليطلة كان القسّ هوقو دِي سنكتلاّ أو سنكتالنسيس Hugo de Sanctalla ou Sanctallensis ينقل من العربيّة إلى اللاّتينيّة بطلب من القسّ ميخائيل الطّرزوني . وكان هوقو نفسه قسّا بهذه المدينة من 513/ 1119 إلى سنة 546 / 1151 . وكان مولعا بنقل الكتب العربيّة قبل أن تبدأ مدرسة التّرجمة في طليطلة ، وقد أهدى هوقو كلّ ما نقله من الكتب العربيّة إلى اللاّتينيّة، إلى

---

[13] د. جمعة شيخة، مدرسة التّرجمة بطليطلة : دراسات أندلسيّة، عدد 11 / 1994 ص 37 .

أسقف طليطلة دون ريموند ، ومنها كتاب المواليد لما شاء الله Liber de Nativitalibus، وشرح ابن المثنّى على زيج الخوارزمي، وكتاب لأبي معشر الفلكي في التكهّنات والأحوال الجويّة .

ومن المرجّح أنّ هذا الناقل الكبير كان يعمل ضمن مجموعة من المترجمين في الشمال الشرقي لشبه الجزيرة الإيبيريّة . وكانت عاصمته سرقسطة التي سقطت بيد الإسبان في بداية القرن 12/6 ،.وكان مع هوقو أفلاطون طبرتينوسplaton Tiburtinus (من برشلونة) ، وأوّل ما نقله هذا المترجم إلى اللاّتينيّة كتاب الهندسة التطبيقيّة عن العبريّة . واهتمّ خاصّة بكتب التّنجيم ، ومنها كتاب علم النّجوم للبتّاني الذي تمّ عن طريقه دخول استعمال حساب المثلّثات ومفهوم الجيب إلى أروبا ، كما نقل كتاب الكريات لتبودوس، وكتاب التّنجيم ليحيى بن علي بمشاركة أبْرَاهَمْ بَرْحيًّا .

د) مدرسة كلونيCluny: كلوني مدينة في شرق فرنسا، أسّس فيها الدّوق قيوم دايكيتان Guillaume Daquitaine ديرًا الآباء البندكتونيّين سنة 298 /910، ومنـــه انبثقـــت في الغرب حركة إصلاح دينيّة ونهضـــة ثقافيّة . ومـــن قساوسة هذا الدّير بيار لَفنرابل (516 / 1122 - 551 / 1156) [14].

ولئن كان هذا الدّير خارج إسبانيا فقد كان طلبته وأساتذته طيلة القرن 10/4 ، على اتصال وثيق بالمراكز الإسبانيّة السّابقة [15]، وفيه ألقيت البذرة الأولى لقضيّة من أهمّ قضايا الاستشراق فيما بعد. وهي قضيّة العلاقة بين العقيدتين الإسلاميّة والنّصرانيّة . وتمخض الحوار فيها على وجوب مقاومة الإسلام بطريقتين مختلفتين شكلا ، متكاملتين هدفا ، قوّة المنطق ، وقوّة السّيف : نشأت عن الأولى بداية حركة التّبشير، وعن الثّانية بداية حركة الاسترداد ، ومهّد للإثنتين سقوط الخلافة الأمويّة بقرطبة وتفكّكُ وحدة الأندلس الإسلاميّة .

---

[14] Le petit Robert : Dictionnaire Universel des noms propres, Paris 1987 p.421.

[15] ظهرت في القرن 10/4 مراكز أخرى في إسبانيا كسبيجوفيا وليون ومُولُونا وخارج إسبانيا بطُلُوزَة وأرْبونة ومرسيليا (دراسات أندلسيّة 11/ 1994 ص 37) .

وبعد أن تحوّل النّظام في الأديرة البندكتيّة ، ظهرت النّواة الأولى للجامعات في أروبا كمدرسة شارطر – وهذه ظهرت قبل جامعة باريس- التي كانت لها صلة بإسبانيا . فقد وفد كثير من طلبتها على مناطق نهر الإبرو ، وساهموا في نقل الكتب العربيّة إلى اللاّتينيّة من بينهم اليهودي إبراهَمْ البرشلوني ، وموشي السّفردي Safardi الذي اعتنق المسيحيّة وعرف ببيدرو ألفونسو الهوسكي: وهو من الروّاد الذين كتَبوا عن الإسلام والرّسول.

ومن هذه المدارس خارج إسبانيا يمكن أن نذكر مدرسة لورانLoraine وهي المدرسة التي أسّسها تلامذة الرّاهب ثمّ البابا سلفستر الثاني . ومن أشهر علمائها الرّاهب هرمان كونتراكتو Hermann Contracto (1013/404 – 1054/446) الذي وضع كتابا عن الأسطرلاب وكتابا في الموسيقى على غرار الكندي ، كما ترك هذا الرّاهب حوليات تعرف بـــ Chronik von Hermann Contractus .

وفي هذه المدرسة خلال القرن 10/4 ظهر كتابان باللاّتينيّة عن الأسطرلاب، كان التأثير العربيّ واضحا فيهما [16] . كما ظهرت كتب أخرى في نفس الموضوع في مدرسة لياج Liège سنة 1025/416 و 1026/417 ، وكتب فرانكو دي لياج Franco de Liège في النّصف الثاني من القرن 11/5 كتابا عن الأسطرلاب .

وبصفة عامة كان لهذه الحركة في القرن 10/4 تأثيرها في القرن 11/5 إذ ظهرت كتب في الفلك والرّياضيات مصادرها المادّة العربيّة المترجمة ، وأثمرت هذه الجهود في أماكن متعدّدة من إسبانيا خلال هذين القرنين مدرسة لها صيتها هي مدرسة الترجمة بطليطلة .

---

[16] دراسات أندلسيّة : 11 / 1994 ص 37 .

II-الفصـــــل الثانـــــــي : الجـــذور

مقدمـــــة

لئن وُضعت بذور الاستشراق في شبه الجزيرة الإيبيريّة خلال الفترة الممتدّة ما بين سقوط دولة القوط إلى سقوط دولة الخلافة ، فإنّ هذه البذور ستتحوّل إلى جذور للاستشراق الإسباني ، وستضرب بعروقها في الأرض في اتّجاهين متكاملين وفي مرحلتين متتاليتين .

1) المرحلة الأولى أو الاتجاه الأوّل، ويمثله جذر الاستفادة من سقوط طليطلة إلى سقوط قرطبة أي مـــن النّصــف الثاني مـــن القرن5 /11 إلى النّصف الأوّل من القرن 13/7 .

2) المرحلة الثانية أو الاتجاه الثاني ويمثله جذر التّبشير من سقوط بلنسيّة إلى سقوط غرناطة أي من منتصف القرن 13/7 إلى نهاية القرن 15/9 .

ولئن كنّا مضطرّين إلى هذا التّقسيم ، فإنّ ذلك لا يعني أبدًا عدم وجود جذر التّبشير مع جذر الاستفادة في المرحلة الأولى ، ولا عدم وجود جذر الاستفادة مع جذر التّبشير في المرحلة الثانية .

المرحلة الأولى : جذر الاستفادة

ما إن حلّ القرن 11/5 وسقطت الخلافة الأمويّة بقرطبة حتّى اختلّ توازن القوى بين الهلال والصّليب داخل شبه الجزيرة الإيبيريّة ، وبدأت حركة الاسترداد المسيحيّة في الهجوم للتقليص من حجم " أرض الإسلام" بالأندلس. وقد ساهم ملوك الطّوائف بتخاذلهم وتناحرهم فيما بينهم على إظهار المسلمين في مظهر الضّعف عسكريا أمام ملوك النّصارى في الشمال، فزاد ذلك في عزمهم إلى أن سقطت مدينة طليطلة في يد ألفونسو السّادس .

وقد تزامن سقوط طليطلة (في البوّابة الغربيّة) سنة 1085/478 تقريبا مع سقوط صقلّيّة (في البوّابة الوسطى) سنة 1091/485 ، ثمّ مع سقوط القدس (في البوّابة

الشرقيّة) سنة 1099/493 . وتلك أحداث ثلاثة بيّنت أن أروبا المسيحيّة تحوّلت من دور المغزوّ إلى دور الغازي، ومن طور الدّفاع إلى طور الهجوم، ومن طور استشعار الحضارة العربيّة عن بعد إلى الدّخول في عقر دارها والاحتكاك بها مباشرة .

لقد فُتح أمام أروبا – وقد تفوّقت عسكريّا – عَالم عجيب بثراء تراثه، وغريب بقوّة إيمانه، وعنيد بشراسة مقاومته . لقد استطاع هذا العالَم أن ينقل علوم الأوائل مِن يونان وفرس وهنود إلى لغته ثمّ يدرسها وينمّيها إلى أن أوصلها إلى مرحلة رأت فيها أروبا ضرورة الاستفادة منها والعمل على جعلها بداية الانطلاق في نهضتها.

ولتحقيق هذا الهدف السّامي بدأت – خلال القرن 10/4 وبداية القرن 11/5 ، وفي أماكن مختلفة من إسبانيا ثمّ في أنحاء متعدّدة من أروبا – أديرة ومدارس تستفيد من التّراث العربي، ومهما كان نشاط هذه المراكز كبيرًا ، فقد كان محدودًا زمانا ومكانا نظرا إلى الصبغة الفرديّة التي انطلق منها . وسوف لن يأخذ هذا النّشاط صبغته الرّسميّة والجماعيّة إلاّ بعد سقوط طليطلة في يد ألفونسو السّادس وظهور مدرسة التّرجمة بها.

وفي هذه المدرسة وما تلاها من المدارس ستضرب جذور الاستشراق الإسباني في تُربة شبه الجزيرة الإيبيريّة .

مدرسة طليطلة

كانت طليطلة عاصمة المملكة القوطيّة . وكانت من أجلّ المدن قدرًا وأعظمها خطرا في عهدهم . ثمّ أصبحت بعد الفتح الإسلامي سنة 715/97 من أهمّ قواعد الأندلس ومن أمنع مدنها نظرا إلى موقعها الجبلي الوعر في منعطف نهر التّاجه زيادة عن أسوارها الضّخمة وقلاعها الحصينة .

أصبحت طليطلة عاصمة لإحدى دول الطّوائف في القرن 11/5 وهي دولة بني ذي النّون ، وفي صفر1085/478 تمكّن ألفونسو السادس ملك قشتالة من الاستيلاء عليها صلحا من يد القادر بالله يحيى بن ذي النّون . ومنذ ذلك التّاريخ أصبحت هذه المدينة

الكبيرة عاصمة لقشتالة . ونظرا إلى ما أبداه ألفونسو السّادس من تسامح فقد كان سكانها خليطا من نصارى ومسلمين ويهود.

ورغم العهود التي قطعها ألفونسو السّادس على نفسه للمسلمين بالإبقاء على مسجدهم الجامع ، فقد قام أسقف طليطلة برنار الفرنسي – بعد شهرين من سقوط المدينة وبتشجيع من الملكة كُونِستانس ، وأثناء غياب ألفونسو السّادس– بتحويل مسجدها الجامع إلى كنيسة رغم تحذيرات حاكم المدينة المستعرب سسنندو.

أ- نشاط مدرسة طليطلة خلال القرن 12/6 :

بعد حوالي نصف قرن من سقوط طليطلة في يد الإسبان، تولّى رئاسة أسقفيتها الرّاهب دون ريموند من 1125/519إلى 1151/546 . وما أن تولّى منصبه الدّيني بالمدينة حتّى بدأت المرحلة الأولى من حركة الاستشراق الإسباني في مدرسة الترجمة بطليطلة خلال القرن 12/6 ، فقد عمد هذا الأسقف إلى عَالِمين هما : يحيى الإشبيلي ورئيس الشمامسة [1] دمنجو جندسلفي وكلّفهما بنقل الكتب العربيّة في الرّياضيات والفلك والتّنجيم والفلسفة :

– **يحيى (يوحنّا) الإشبيلي** (ابن دريد) Jean de Séville Aben Dreath أو Johannes Hyspalensis: يهودي اعتنق المسيحيّة وكان اسمه العبراني شلومو(سليمان) بن داود . قيل إنّه من مدينة إشبيلية فنسب إليها وقيل إنه من لونا Luna مدينة في إقليم أراغون . خدم كبير أساقفة طليطلة ريموندو Raimondo(من 1130/525 إلى 1150/545) . كان ينقل من العربيّة إلى القشتالية [2] ، وكان زميله جندسلفي ينقل من القشتالية إلى اللاّتينيّة : أوّل ترجمة منسوبة إليه هي ترجمة لفصل في الطبّ انتزع من كتاب " سرّ الأسرار " المنسوب لأرسطو. تمّت الترجمة فيما بين 1120/515 – 525/ 1130. ثمّ ترجم كتاب "المدخل الكبير إلى أحكام النّجوم" لأبي معشر الفلكي سنة 528 / 1133 [3]. ولهذا

---

[1] مفرده شمّام : ومعناه بالسّريانيّة خادم الكنيسة .

[2] نقله من العربيّة إلى القشتالية لم يمنعه النقل من العربيّة إلى اللاتينيّة . أمّا مؤلفاته فقد وضعها باللاتينيّة .

[3] ترجم للبلخي أربعة كتب في التّنجيم سنة528 /1133 بالتعاون مع أدلرد أوف باث . وقد طبعت هذه الكتب في البندقيّة901 / 1495 و921 / 1515 ، وفي فرانكفورت 985 / 1577. (عجيل جاسم النشيمي : مصادر التّشريع الإسلامي لدى المستشرقين . ط . الكويت 1984، ص 12) .

الكتاب ثلاث نسخ مخطوطة في ليدن والمتحف البريطاني وبُودلِي . ثمّ ترجم سنة 570/ 1135 في لُونَا كتاب " الحركات السّماويّة وجوامع علم النّجوم " لأحمد بن محمد ابن كثير الفرغاني، وفي سنة537 / 1142 نقل كتاب " الموجز في الفلك" للفرغاني[4].

كما نقل كتاب الخوارزمي " مختصر من حساب الجبر والمقابلة "، ولابن سينا نقل كتاب "السّماء والعالم" Decelo et Mundo Ab Avicenna وكتاب "الشّفاء" Metaphisica Avicenna، وكتاب "النّفس" .

وفي الفلك والتّنجيم نقل أربع رسائل فلكيّة لليهوديّ ما شاء الله (: منشّا) بن أطري البصري (ت حوالي 815/200) ، وكتاب المدخل إلى صناعة أحكام النّجوم للقبيصي Alcabitius (ت. 967/356)، وكتاب ابن أبي الرّجال القيرواني Abenragel (ت. 1040/432 في الفلك الذي لم يصلنا إلاّ عنوانه اللاّتيني Regulae Utiles de electionibus . وكتاب De Imaginibus لثابت بن قرّة الحرّاني (ت. 901/288) .

نقل بمفرده رسالة أبي القاسم بن الصفّار الغافقي Albucasim de Magerith (ت. 1036/426) في الأسطرلاب، ورسالة المجريطي في الأسطرلاب أيضا، وكتاب ثابت بن قرّة في آلات السّاعات. كما ترجم بمفرده كتاب العلل وكتاب في الطبيعة وآخر في المنطق وكتاب في فلسفة ابن رشد وكتاب السّياسة لأرسطو عن ترجمة لابن البطريق سنة 530 /1135.

وترجم يحيى الإشبيلي شرح علي بن رضوان على كتاب "الثمرة" المنسوب إلى بطليموس، ورسالة في "حفظ بدن الإنسان"، وكتاب " في الخبر المحض" المنسوبين لأرسطو . كما ترجم " إحصاء العلوم " للفارابي [5] و"الفرق بين الرّوح والنّفس " لقسطا ابن لوقا البعلبكي وأهدى هذا الكتاب لريموند، و"عَين أو ينبوع الحياة " لابن جبيرول، و"مقاصد الفلاسفة" للغزالي Metafisica Algazelis وكتاب في العقل للكندي ، وكتاب "المواليد" لعمر بن فرّخان الطبري (ت حوالي 815/200) . وأغلب هذه الكتب نقلها مع زميله دومنجو جندسلفي .

---

[4] ترجم هذين الكتابين للفرغاني بالتعاون مع جيرارد دي كريمونا (النشمي 12) .
[5] بالتعاون مع جيرارد كريمونا . (النشمي 12) .

وسار يحيى الإشبيلي على منوال العرب في بغداد ، فبعد أن تشبّع من التراث العربي من خلال التّرجمة ، قام بوضع بعض الكتب من أهمّها كتاب الخوارزمي في الحساب العملي وهو من أقدم المصنّفات في الحساب المستعملة للأرقام العربيّة والصّفر . يشتمل هذا الكتاب على معظم ما جاء في كتاب الخوارزمي (ت بعد 232/ 846) وخاصّة طريقته في استخراج الجذر التّربيعي بواسطة الكسور العشريّة ، وقد عرضها غاردن Gardan معتبرًا إيّاها طريقة حديثة [6] .

– **دمنجو جنديسلفي** Domingo Gandisalvi(ت 577 / 1181) ، إذا كان يحيى الإشبيلي ينقل من العربيّة إلى القشتالية ، فقد كان جندسلفي يتعقب ترجمات الإشبيلي ويحوّلها إلى اللاّتينيّة . ويسعى في نفس الوقت إلى التّوفيق بين المضمون وبين المعتقدات المسيحيّة. له كتاب De Ortu Scientiarum مقتبس من كتاب إحصاء العلوم للفارابي . وكان لهذا الكتاب تأثير كبير في أروبا. وترجم كتاب النّفس وكتاب الطبيعيات لابن سينا . وأغلب إنتاجه في ميدان النّقل تمّ بين عامي 1130/525 و 566/ 1170 وامتدّت جهود هذا المترجم إلى أعمال الكندي والفارابي فترجم رسائلهما مستعينا بمترجم في هذه المدرسة هو ألفريد مورلي Alfred Morly.

ويبدو نظرا إلى ضخامة العمل الذي قام به جيرارد الكريموني أنّ الترجمات المنسوبة إليه لم يقم بها كلّها بمفرده، وإنّما كان على رأس مجموعة من المترجمين يعملون تحت إشرافه . وكثير من هؤلاء المساعدين كانوا من أصل عربي أو من المستعربين ، ويتضح ذلك من أسماء بعضهم ، فأحدهم مثلا كان يعرف باسم غلّيبوس Gallipus وهو تحريف لاسم غالب العربي. وعرفت هذه الترجمات التي قام بها كلّ من يحيى الإشبيلي وجندسلفي بالتّرجمات الطليطليّة الأولى [7] .

ومن علماء القرن 12/6 الذين ساهموا في تأصيل جذر الاستفادة بمدرسة الترجمة في طليطلة :

---

[6] ترجمة يحيي الإشبيلي اعتمدنا فيها (النشمي ص 12 - 13 ، ودراسات أندلسية 11 / 1994 ، ص 43، موسوعة المستشرقين لعبد الرّحمان بدوي ، ط 3 بيروت 1993 ص 631) .

[7] دراسات أندلسيّة : 11 / 1994 ص ص 42-43 .

- **إبراهيم بن عزرا** Abrahma Ibn Ezra أو Abrahma Judaeus : ناقل من كبار النّقلة، ولد بطليطلة 491/ 1097 وتوفّي بروما 1160/555 وقيل سنة 1167/563 . ترجم قبل وفاته إلى العبريّة شرح أحمد بن المثنّى بن عبد الكريم على زيج محمد بن موسى الخوارزمي ، واستخدم هذه الترجمة في عمله باللاّتينيّة [8] .

وتزعّم هذا العالم اليهودي مع زملائه حركة ترجمة في إسبانيا تقوم على نقل الكتب العربيّة إلى العبريّة في مرحلة أولى ، ثمّ التأليف باللّغة العبريّة في نفس المواضيع المترجمة في مرحلة ثانية .

ويمكن القول : إنّ اليهود في مدرسة طليطلة قاموا بنفس الدّور الذي قام به النّساطرة في بغداد خلال القرنين 3-9/4-10 ، فقد نقلوا العديد من الكتب العلميّة العربيّة إلى اللاّتينيّة عن طريق اللّغة العبريّة . من أشهر هؤلاء المستشرقين اليهود يوسف بن قمحي الذي قام بترجمة "المرشد إلى واجبات القلوب" الذي ألفه يهودي باللّغة العربيّة يدعى بهيّة . كما ترجم موسى بن طبّون كتاب "العناصر" لإقليدس عن اللّغة العربيّة ، وكتاب "القانون الصغير" لابن سينا، وكتاب "التّرياق" للرّازي وشروح ابن رشد الصغرى على أرسطو . كما ترجم العديد من الرّسائل العربيّة إلى اللّغة العبريّة ثمّ ترجم بعضها إلى اللاّتينيّة [9] .

- **أدلر أوف باث** / 1070 - 425 / Adelart of Bath1135 : راهب إنجليزي بندكتي من مدينة باث على نهر الأفن . ذاع صيته سنة 509/ 1115 ، ولقّب بالفيلسوف الإنجليزي . زار عدّة مدن في الشرق العربي كما زار الأندلس وتمكّن خلال زيارته شرقا وغربا من جمع معارف في علوم الطبيعة والفلك والرّياضيات، وقام بالنّقل من العربيّة إلى اللاّتينيّة لكتاب أصول إقليدس سنة 1130/525 وكتاب الخوارزمي في الحساب ، وقد أصبحَا من المراجع الأساسيّة للرّياضيات بأروبا .

ويعتبر هذا المستشرق من المتضلّعين في التراث العلمي العربي ومن المنصفين له، بل من المعجبين بمنهجيّة البحث لدى العرب . جاء في كتابه " المسائل الطبيعيّة "

---

[8] المرجع السّابق ص 42 .

[9] الحاج ساسي سالم : نقد الخطاب الاستشراقي ، ص 42 .

وهو محاورة بينه وبين ابن أخيه خريج الجامعات الأروبيّة ": إنّني وقائدي هو العقل، قد تعلّمت على أساتذتي العرب غير الذي تعلّمته أنت فبهرتك مظاهر السّلطة بحيث وضعت في عنقك لجاما تقاد به قياد الإنسان للحيوانات الضّارية ولا تدري لماذا ولا إلى أين ؟ .... فقد منح الإنسان العقل أوّلا لكي يفصل بين الحقّ وبين الباطل ... فعلينا بالعقل أوّلا فإذا اهتدينا إليه – لا قبل ذلك – بحثنا في السلطة فإن سايرت العقل قبلناها..." [10].

– بطرس المحترم Pierre le venerable Petrus Venerabilis

راهب فرنسي ولد حوالي 485 / 1092 في أوفرنيا Auvergne وسط فرنسا، وتوفّي 1156/551. نشأ في دير تابع لدير كلوني الشهير . ثم أصبح ، وهو في الثلاثين من عمره ، رئيسا لهذا الدّير سنة 516 / 1122 .

في زيارته الثانية لإسبانيا في نهاية سنة 536 / 1141 اهتمّ بالمستعربين النّصارى الذين كانوا يعيشون تحت الحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيريّة .

قرّر بطرس المحترم ، خدمة للكنيسة الكاثوليكيّة ، ترجمة القرآن للاّتينيّة مع أربعة نصوص أخرى . فلما زار مدرسة الترجمة بطليطلة كلّف بهذا العمل – بالاتفاق مع دون ريموند أسقف طليطلة – القسّ بطرس الطليطلي Pedro de Toledo مع عالمين آخرين هما هرمن الدّلماسي Hermann de Dalmatie والقس الإنجليزي روبرت دي كتون (روبرت أوف شاستر Robert of Chester) Robert de Ketton الذي سيصبح فيما بعد قسّ بنبلونة Pamplune سنة538 / 1143 ، وأشرك معهم عربيا مسلما اسمه محمد دون ذكر للقبه ، كما أشرك معهم سكرتيره الخاص المعروف ببيدرو دي بواتيه Pierre de Poitiers. الذي كان متحمّسا لترجمة القرآن قصد الرّدّ على ما جاء فيه من تعاليم ،

---

[10] لمّا رجع أدلر إلى إنجلترا أصبح مربّيا ومعلما للأمير هنري الذي سيكون الملك هنري II فيما بعد (النتشمي ص ص 11-12)

وهو المخطط لهذه الرّدود التي ظهرت في منتصف القرن 12/6 وتزعّمها سيده بيار المحترم (المبجّل) [11]

كان اتجاه العالمين المستعربين هرمان الدّلماسي وروبرت دي كتّون اتجاها علميا، فقد ترجما معًا كتابا في الفلك والأحوال الجويّة ، لكن بطرس المحترم أغراهما بالمال فغيّرا اتجاههما للنصوص الدّينيّة[12]وقاما بترجمة القرآن وتمّت الترجمة سنة 538 / 1143 . وسوف لن يطبع هذا النصّ إلاّ بعد 400 سنة في بالBâle سنة 950 / 1543 .

ووضع بيار المحترم مع الترجمة كتابين في الجدل والسّنة النبويّة ، عنوانه مختصر تعاليم محمّد . وقد سمّيت هذه النصوص جميعًا بالمدوّنة الكلونيّة Corpus Clunisien لانتماء العلماء الذين قاموا بالترجمة إلى هذا الدّير الفرنسي كما سمّيت بالمنتخبات الطليطليّة لأنّ الترجمة تمّت في مدرستها .

-المترجم الإيطالي جيرار الكريموني Gerard de Crémonie (1114/508-1187/583) .

قدم طليطلة من مدينة كريمونا بلمبرديا المقاطعة الإيطاليّة ، وتعلّم بها العربيّة. استطاع أن يترجم حوالي 70 كتابا في الطبّ والفلسفة والفلك عن الأصول العربيّة ترجمة موفّقة منها: كتاب "السّماع الطبيعي" لأرسطوDe Auditu Naturali، وكتاب "القانون" لابن سينا Liber Canonis Primus quiem princeps: وهو أكبر تأليف وأشمله في الطبّ عند العرب، وكتاب "الأسطقسات"، وكتاب "السّيول" لإسحاق بن سليمان الإسرائيلي، وكتاب "الأحداث الجويّة" لأرسطو نقلا عن ابن سينا، وكتاب "المنصوري" للرّازي، ومقال في الجدري والحصبة للرّازي أيضا، والقسم الجراحي من كتاب "التّعريف" لأبي القاسم الزّهراوي، والقول في الشّكل القطاع والنسبة المؤلّفة لثابت بن قرّة ، وزيج الزّرقالي، و"معرفة الأشكال البسيطة الكرَويّة" لبني موسى بن شاكر ، و"المدخل إلى الطب" للرّازي .

---

[11] بدوي، موسوعة المستشرقين ص ص 110-111 .

[12] لم ينصرف هرمان ورُوبرت عـن العلم نهائيا فـترجما كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمـي وكـتاب الكيمياء . وترجم روبرت بمفرده كتبا في الكيمياء والفلك وصنف فيهما عدّة رسائل سنة542 /1147 . وبهذه الأعمال (الترجمة والتأليف) بدأ التراث العربي العلمي يتسرّب إلى أروبا (النشمي ص 13)

نال ابن سينا من خلال هذه التّرجمات شهرة كبيرة داخل إسبانيا وخارجها حتّى أنّ أروبا عرفت مذهبا فكريا وفلسفيا يحمل اســـم ابن سينا وهو لِفسنّيزم Lavicennisme حوالي سنة 576/ 1180 [13].

وانطلاقا من هذه الترجمات للكتب العلميّة والدّينيّة ، ومن مؤلّفات بيار المحترم (المبجّل) برزت جذور ما سيعرف في حركة الاستشراق بالجدل الدّيني للدّفاع عن العقيدة المسيحيّة ضدّ الإسلام وتعاليمه . وتزعّم هذه الحركة بياردي بواتيه Pierre de Poitiers .

ورغم ما عرف به بيار المحترم من تشدّده ضدّ اليهود ، وتعصّبه ضدّ المسلمين ، فإنّه كان يدعو إلى الجدل لا إلى الحرب باعتبارها طريقا أسهل وأهون للانتصار على الإسلام واليهوديّة وفضحهما .

هذا الاتجاه السّلمي ظاهريا لا يقلّ ضررًا عن اتجاه معاصره برنار دي كَلاَرفُو Bernard de Clairvaux الذي كان يدعو جهارًا إلى حرب صليبيّة ثانية ضدّ المسلمين بعد أن أجّج نار الأولى نداء البابا أوربان Urbain II سنة490 / 1096 .

وكان من نتيجة الاتجاهين السّابقين السّلمي والعسكري أن بدأت تنطبع في الذّهن الأروبي عامة والإسباني بصفة خاصّة صورة مشوّهة عن الإسلام : فالقرآن هو تحريف مقصود للكتاب المقدّس والإسلام هو أفظع فرقة من الفرق الضّالة ، وهو عقيدة كلّها خرافات وأكاذيب ، وهو دين العنف والسّيف من جهة ، والمتعة واللّذة من جهة أخرى . وما محمّد إلاّ صورة مضادّة للمسيح . ولولا وقوف دون ريموند أسقف طليطلة ومؤسّس مدرسة الترجمة بها أمام هذا التيّار الجارف لنفرت أروبا كاملة من كلّ ما ينسب إلى العرب من تراث ديني وعلمي، وبالتّالي تحرم من خلاصة الفكر البشري الذي قدّم إليها عن طريق العرب في طبق من ذهب .

---

[13] دراسات أندلسية : 1994/11 ص ص 43-42 .

المرحلة الثانية : جذر التبشير

ولئن استمر جذر الاستفادة في القرن 13/7 ، فإن جذرا آخر في الاستشراق الإسباني هو جذر التبشير سيبرز بكل وضوح في هذا القرن.

لقد تمت السيطرة النصرانية على كامل شبه الجزيرة الإيبيريّة تقريبا باستثناء قسم منها في أقصى الجنوب الشرقي قامت فيه دويلة بني نصر. وبهذا الانتصار الكاسح خضع عشرات الآلاف من المسلمين واليهود للحكم النصراني وهؤلاء عُرفوا بالمدجّنين. واغتنمت الكنيسة الفرصة للقيام بحركة تبشيرية في وسطهم وساندها في ذلك حكام إسبانيا في محاولة منهم لتوحيد إسبانيا دينيا. وفهم هؤلاء الحكّام أنّ النجاح في هذه الخطة لا يمكن أن يتمّ إلاّ بـــ :

أ- **التعمق في فهم الفكر الفلسفي الإسلامي:** ولقد أتيح لمدرسة الترجمة في طليطلة في النصف الأوّل من القرن 7/ 13 مترجم فــذّ هو ميشال سكوت (ت 1236/634) [(1)]. حلّ هذا المترجم بطليطلة سنة 1217/614، فتعلم بها اللّغتين العربية والعبريّة في مدرستها، وتشبّع بمنهجها ثمّ قام فيما بعد وخارجها بترجمة كتب أرسطو وشروح ابن رشد عليها، فقد ترجم كتاب الحيوان لأرسطو من العربيّة إلى اللاّتينية في عشرة أجزاء، وكتاب السماء لأرسطو وشرح ابن رشد عليه، وكتاب البطروجي في الهيئة والحركة السّماويّة وقد أتمّ ترجمة كتاب البطروجي هذا مع الكاهن أبــي داود أثناء إقامته بطليطلة[(2)] .

ومن المترجمين في مجال الفكر والفلسفة يمكن أن نذكر – إضافة إلى سكوت – هرمن الدلمسي Hermann de Dalmatie (ت 1272/671) . اهتم هذا المترجم خاصّة بالفلسفة والأدب واستعان بعناصر من أصل عربي، نقل الشرح الأوسط لابن رشد على كتاب الأخلاق لأرسطو بطليطلة سنة 1240/638 ونقل رسالة لابن باجة السّرقسطي.

[(1)] راهب أسكتلندي، درس في أكسفورد ثمّ ذهب إلى باريس وحاز بجامعتها على لقب العالم الرياضي ، ساهم بهذه الجامعة في إنشاء النزعة المنتمية إلى ابن رشد التي عوّضت النزعة المنتمية إلى ابن سينا السائدة سابقا في العالم اللاتيني، رغم أنه ألف كتابا عظيم الفائدة هو الخلاصة الفلسفية لابن سينا سنة 1210/607 (التشمي ص 14).

[(2)] دراسات أندلسيّة 11/ 1994 ص 43.

وبصفة عامّة ساعدت الكتب الفلسفية المترجمة على وضع مختصرات لاتينيّة لإثبات العقيدة المسيحيّة في نفوس أتباعها ثمّ الدّفاع عنها، كما انعشت الحوار بين المفكرين المسيحيين حول العلاقة بين العقيدة والعقل.

ولا شك أن تأثير الفلسفة الإسلامية التي ترجمت في القرن 12/6 وخاصة 13/7 في الفكر الأوروبي هي ظاهرة استشراقية إسبانية وُضعت بذورها ونمت جذورها في أرض شبه الجزيرة الإيبيريّة، لكن نفعها عمّ كامل أوروبا خلال القرن 13/7 فظهر فلاسفة كبار بعضهم أرسطي النزعة وبعضهم أفلاطونيّها[3].

وممّا لا شكّ فيه أن الفلسفة الإسلامية التي ترجمت وخاصة مؤلفات ابن رشد وشروحه على أرسطو لم تكن الكنيسة تنظر إليها بعين الرضى. فهذا المذهب العلماني الذي وضعت بذرته في القرن 12/6 ولّد اتجاها إلحاديا في القرن 13/7 أعلن تمرّده على الدّين يهوديا كان أو مسيحيّا أو إسلاميا وأرجع أسباب الفقر والحروب إلى الأديان. وضرب عرض الحائط بالتفسيرات الغيبيّة للأحوال الاقتصاديّة والاجتماعية، وحاول أن يجد لها تفسيرات علميّة وواقعيّة. وهكذا برزت جذور الاستشراق الاشتراكي الذي أخذ على عاتقه دراسة الإسلام وتاريخه على ضوء مبادئه الاقتصاديّة والاجتماعية. فهل لهذا الجذر الاستشراقي تأثيره في أهم ثائر على الكنيسة في منتصف القرن 16/10 وهو مارتن لوثر الألماني؟

ب- تدعيم تعليم اللغة العربية : لأنّ التبشير سيكون بين أناس أغلبهم لا يعرف إلا هذه اللغة، وهم المدجّنون داخل إسبانيا بصفة خاصّة، والمسلمون واليهود خارجها بصفة عامّة. وقد أتيح لمدرسة طليطلة في النصف الثاني من القرن 13/7 عالم كبير وملك عظيم هو الفونسو العاشر (أو العالـم أو الحكيم، حكم ما بين 1252/650 – 683/ 1284). وهذا الملك في نظرنا من أجلّ المستشرقين الإسبان، فقد شجّع على الترجمة بصفة عامّة وعلى الترجمة من العربية إلى الإسبانية لكتب علمية ودينيّة وتارخية وأدبيّة بصفة خاصّة. وأمر بترجمة القرآن وكتاب "معراج محمد" وكتاب "كليلة ودمنة" وكتاب

---

[3] E I (2)/ VII ص 739.

"خدع النّساء" وكتاب عن لعبة الشطرنج. كما وضع هو نفسه كتابا في الفلك وآخر في أغنيات مريم العذراء .

ولتدعيم جذر التبشير أمر ألفونسو العالم بإنشاء مؤسسات للتعليم العالي تدرّس فيها اللّغتين العربيّة والعبريّة ، كما أحدث مدرسة في إشبيليّة بعد الاستيلاء عليها لتعليم العربيّة واللاّتينيّة سنة 1245/643. ولم تكن غايته من ذلك الفائدة العلميّة فقط، وإنّما كان يسعى إلى إعداد كوكبة من الرّهبان يستطيعون التبشير باستعمال العربية والعبريّة في الوسطين الإسلامي واليهودي، وقد زاد عدد أهل هاتين الملّتين بمملكته.

واهتمت مدرسة طليطلة في هذه الفترة بالكتب الأدبيّة العربيّة، وخاصّة القصصيّة منها كمقامات الحريري، وكان الإسبان معجبين بها لما فيها من تشويق، فقاموا بترجمتها إلى لغتهم لتقرأ بلسانهم على ملوكهم في سمرهم. ويميل بعض الدّارسين إلى القول بأن هذا الإعجاب هو الذي أدّى إلى ظهور قصص الصعاليك والمكدّين في الأدب الإسباني خلال القرون الوسطى La nouvella Picarexa .

ولمزيد تدعيم تعليم اللغة العربية لغاية تبشيريّة وضعت أولى المعاجم اللّغوية في إسبانيا في هذه الفترة، ونعرف من هذه المعاجم معجمين.

- **الأوّل** : يرجّح أنه كتب في القرن 12/6 : وهو أقدم معجم لاتينيي عربي Glossarium Latino- Arabicum يقوم على ضبط الكلمة اللاّتينيّة ثم يضع ما يقابلها في العربيّة. ولئن كان مؤلف هذا المعجم مجهولا، فمن المرجح أن يكون مستعربا يتقن اللغة العربيّة، وعاش في ظلّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة[4]. ويتألف المعجم من 11 ألف كلمة لاتينيّة لم يعرّب منها إلاّ الثلث.

- **الثاني:** معجم مزدوج لاتيني عربي- عربي لاتينيVocbulista In Arabico. وضع هذا المعجم في شرقي الأندلس في قطلونيا أو في مملكة بلنسيّة. ويرجّح أنّ مؤلفه اللاّهوتي والمبشر الإسباني رايموند مرتين وضعه في النصف الثاني من القرن 13/7. وفي هذا المعجم حسب دائرة المعارف الإسلامية أربعة آلاف كلمة لاتينيّة يقابلها 80 ألف كلمة عربيّة . ولهذا المعجم قيمة كبيرة باقية وهي التعرف على العاميّة العربية

[4] بدوي : الموسوعة، ص 56 .

التي كانت جارية على ألسنة الفئة المثقفة بإسبانيا خلال القرن 7/ 13 [5] وهذه القيمة موجودة في هذا المعجم وفي المعجم الذي سبقه.

ج – **ترجمة القرآن لفهم قيمه ومحاولة الرّد عليها:** رأينا أن الترجمة الأولى للقرآن تمتّ في القرن 12/6 وقامت إثرها موجة من تشويه الإسلام عمدا والنيل من نبيّه (صلعم) قصدًا. ووضعت ترجمة ثانية للقرآن في القرن 13/7 قام بها الأب ماركوس الطليطلي بتوجيه من الأسقف دون رودريغو خيمينيث دي رَدَا Don rodrigo Jimenez de Rada : في القرن 13/7 غيرت جذريّا من النظرة السابقة، فقد قام القسّ الدّومينيكي ريكالدو دي منتي كروس (ت 1320/719) بتحليل علمي وموضوعي للقرآن الكريم بعد أن تشبّع بروح الحضارة الإسلامية مدّة إقامته ببغداد من 1280/679 إلى 1300/700 . وقد ساهم في تدعيم دعوة دون ريموند المنصفه للإسلام والتقليل من حدّة الحملات المغرضة على الإسلام ونبيّه (صلعم) في القرون الموالية.

ومن كبار رجال هذه الفترة يمكن أن نذكر زيادة على دون ريموندو وألفونسو العالم :

أ) **الرّاهب والمبشر رايموندس مارتيني**[6] : ولد بسوبرتس Subirats في إقليم قطلونيا شمالي شرقي إسبانيا حوالي 1220/617 ، وتوفي بعد 1284/683 ببرشلونة. يعتبره بعض المؤرّخين المؤسس الحقيقي للاستشراق بدأ بدراسة العربيّة في مركز ميورقة على أستاذه الرّاهب برناردو سلفاتيا . ثمّ التحق بمدرسة الدّراسات الشرقيّة بطليطلة، ويعتبر من أشهر من تخرج منها، تعمّق في دراسة التراث العربي الإسلامي، وحفظ القرآن وصحيحي مسلم والبخاري وأحسن العربية والعبريّة والكلدانيّة واليونانيّة، عُدّ من بين عشرين راهبا يتقنون العربية في عصره. وبقرار من المجمع الدّيراني المنعقد في طليطلة سنة 1250/648 بمقتضى مرسوم الطاعة المقدسة أرسل إلى ميورقة لتدريس العربيّة ومعه ثمانية من كبار علماء الدّين المسيحي.

---

[5] نشره شيباريللي سنة 1881/1299 .

[6] بدوي: الموسوعة، ص ص 309-310 .

قام بجولات خارج إسبانيا للتبشير والردّ على علماء المسلمين فاتّجه إلى تونس، وأنشأ فيها مدرسة لتعليم العربية للمبشرين.

وفي سنة 1264/663 عيّنه خايمي الأوّل ملك أراغون في لجنة لفحص الكتب الموجودة لدى يهود مملكته. وفي سنة 1281/680 أصبح أستاذا للعبرية في برشلونة.

من أهمّ مؤلفاته " خنجر الإيمان في صدور المسلمين واليهود"، والعنوان فيه دلالة واضحة على تحمس مفرط من طرفه للمهمة التي كان يقوم بها وهي التبشير وقد أتمّ هذا الكتاب سنة 1278/677 باللغتين اللاتينية والعبريّة وغايته منه أن يضع بين أيدي المبشرين المبتدئين مرجعا للدّفاع عن العقيدة المسيحيّة ضدّ اليهود خاصّة[7] .

وجادل مارتيني فلاسفة الإسلام وخاصّة الغزالي واقتبس من بعضهم كابن سينا وابن رشد والرّازي.

كان هذا الرّاهب يتقن العربيّة إلى درجة أنه كتب سورة لمعارضة القرآن وهي جرأة منه لا تخلو من السخف والوقاحة. وقد نُشرت هذه المعارضة وترجمت إلى الإيطاليّة.

من كُتب هذا الراهب :

- شرح أمانة الرسل (مطبوع) .
- ترجمة كتاب " المختصر في تعليم الدين المسيحي" إلى العربيّة وهدفه منه واضح وهو نشر المسيحيّة في الوسط العربي الإسلامي.
- كتاب علم اللاّهوت والفلسفة، وضعه سنة 1278/677.
- الخلاصة ضد االقرآن (مفقود).
- خُطام اليهود (مفقود).

ب – اللاهوتي باسكوال برتروس Pascual Pertrus : ولد ببلنسية 1227/625 وتوفي 1300/700 .

---

[7] اعتمد مارتيني في مجادلته علماء اليهود والإسلام على منهج الغزالي وحججه للردّ على المشائين وانتشر هذا الكتاب في أروبا عدّة قرون باعتباره نموذجا للجدل الدّيني بين علماء الأديان السماويّة الثلاثة .

درس هذا الرّاهب في باريس وروما ثمّ عاد إل بلده ، تولّى تدريس اللاهوت والفلسفة في برشلونة واختاره يعقوب الأول ملك أراغون لتربية ابنه شانجه. صار رئيسا لدير سان ميجل بناحية براغة Praga ثمّ أصبح أسقفا لجيّان: Jaen سنة 1296/696.

أسّره المسلمون في سنة 1298/698 وسُجن بغرناطة فتوفيّ بها بعد سنتين.

من مؤلفاته: في الفرقة المحمّديّة Sobre el Seta Mahometanos ، وضدّ الجبريّة المحمديّة Contra Fatalistas Mahometanas. واعتمد في وضعه لهذين الكتابين مصادر مسيحيّة وأخرى إسلامية ككتاب " السيرة ' لابن إسحاق وكتاب الإسراء والمعراج ورسالة عبد المسيح الكندي[8].

ولئـن كانت مدرســة طليطــلة أهمّ مركز للاستشراق الإسبــاني بداية من القرن 12/6، فقد رأينا أنها سبقت بمراكز للبحث داخل إسبانيا وخارجها، مهدّت لظهورها كما أن أثرها لم يَمّح بزوالها بل ظهر في مراكز أخرى بإسبانيا لا تخلو من أهمّية كمركزي :

أ- مُرسيّة : أنشأه ألفونسو العالم بمدينة مرسية وأرسل إليه الرّاهب الدوّمينكيني:

رامون (ريموند) مرتين على رأس جماعة من الرّهبان للتعمّق في دراسة العربيّة. وكان هذا الرّاهب متضلعًا في العربيّة عارفا باللهجة الأندلسيّة والمغربيّة، وقد يكون عارفا باللهجة التونسيّة لأنه سافر إلى هذين البلدين وتعلّم فيهما من أجل القيام بمهمته التبشيريّة خارج إسبانيا في الوسطين اليهودي والإسلامي.

وضع هذا الراهب قاموسا لغويا يشهد على إتقانه اللغة العربية، وفي مقدّمة المعجم قام هذا الراهب بمعارضة القرآن في محاولة منه لإبطال نظريّة " إعجازه". وكان في هذا الاتجاه متفقا مع راهب مركز " ميرامار" ريموند لول في سعيهما إلى دحض الإسلام من داخله وبحجج علمائه.

ب- **مركز " ميرمار "** بجزيرة ميورقة : يعتبر بعض المؤرخين أنّ الاستشراق الغربي وضع حجر أساسه في هذا المركز على يد الرّاهب الفرنسيسكي ريموند لول

---

[8] بدوي: الموسوعة، ص 109.

(1231/629- 1315/715)[9]. لئن كان هذا الرّاهب رجل دين، فقد كانت له معرفة " بالعلوم وتعمّق في الفلسفة"[10] وإبداع في الشعر. تعلّم العربيّة وحفظ القرآن على يد عبد أسود، ثمّ تعلّم القطلانيّة وقضى في ذلك تسع سنوات (1266/665-1275/674) ثمّ ذهب إلى باريس وانضمّ إلى الرّهبانيّة الفرنسيسكانيّة.

ورغم تعصبه الدّيني كان لول يميل إلى وجهة نظر بيارلفنرابل (بدرو المحترم أو المبجل) الدّاعية إلى إقناع المسلمين واليهود بالحقيقة المسيحية عن طريق الحجّة الثابتة والبرهان القويّ . وانطلقت دعوته تلك سنة 1265/664 أي بعد سقوط مملكة القدس في الشرق سنة 642/ 1244 [11] .

أسس لول، بعد أن اقنع يعقوب الأوّل – مدرسة عربيّة للمستشرقين المبشرين في ميرمار بميورقّة[12]. واستمرت هذه المدرسة من 1267/666 إلى 1294/694. وسافر إلى تونس للتبشير خارج إسبانيا وكذلك الجزائر ولكنه فشل فشلا ذريعا بالبلدين.

كانت محاولاته للردّ على المسلمين تقوم أساسا على إبطال نظريّة " إعجاز القرآن". ولهذا الغرض وضع كتابا في أسماء الله الحسنى ليعارض به القرآن كما وضع كتابا بعنوان " الوثني والعلماء الثلاثة" ترجمه إلى اللّغة القطلانيّة بدرو وبسكوال تحت عنوان " دحض شريعة محمد"، وله رواية تبشيريّة حمّل فيها البطل خلاصة تجاربه في الدّعوة إلى المسيحيّة.

وقام لول بدعوة البابا أونوريو الرّابع[13] لإنشاء مدارس لتعليم العربية والعبرية والآرامية قصد التبشير في الوسطين الإسلامي واليهودي. وقد أخذ مجمع فييناّ المنعقد في 12-12/711-1311 برأي لول وكوّن عدّة مراكز في أوروبا لتعليم اللغات الشرقيّة: في

---

[9] ولد بمالقة قيل سنة 1231/629 وقيل سنة 1232/630 وقيل سنة 1235/635. كان والده من النبلاء المشاركين مع يعقوب الأول ملك أراغون في حروبه ضد المسلمين، لذا نشأ لول في وسط كانت فيه روح النضال ضدّ المسلمين قويّة.

[10] ومع ذلك حارب فلسفة ابن رشد عندما كان في باريس (من 1309/709/ -1311/711) .

[11] وهذه هي نظرية القدّيس فرنسيس في الشرق العربي، فقد اتصل هذا الرّاهب بسلطان مصر الملك العادل فسمح له بالتبشير بين جنوده فلم يجد آذانا صاغية ولكنه تعرّف عن كثب على مدى تسامح المسلمين فحاول الوقوف في وجه الحرب الصليبيّة لكنه فشل أيضا فعاد إلى بيت المقدس وأسس جمعيّة الإخوان الفرنسيسكان (المؤلف).

[12] هذه المدرسة مهدّت لإنشاء معهد الدّراسات الإسلامية في مدريد .

[13] وقيل أكليمونص الخامس حسب الاستاذ نجيب العقيقي.

باريس وأكسفود وبولونيا وسلمنكا وروما. ورغم الإيجابيات الكثيرة لهذه المراكز إذ جعلت إسبانيا البوّابة الكبرى للعلم العربي إلى القارّة العجوز، وقدّمت عن طريق الترجمة ثم التأليف معلومات شتى عن العالم العربي الإسلامي المجهول في ذلك الوقت، فإن هذه المراكز(مركزي مرسية وميرمار وغيرهما) لم تخل من سلبيات تمثلت أساسا:

أ- في أنانيّة بعض مترجميها [14] وذلك بنسبة بعض الكتب التي ترجموها إلى أنفسهم أو إلى غيرهم من أبناء ملّتهم، ممّا جعل ابن عبدون الأندلسي في رسالته حول الحسبة منذ أوائل القرن 12/6 يحذّر من مغبّة بيع كتب المسلمين إلى اليهود والنصارى قائلا " يجب أن لا يباع إلى اليهود ولا إلى النّصارى كتب علم إلاّ ما كان من شريعتهم لأنهم يترجمون كتب العلوم وينسبونها إلى أهلهم وأساقفتهم وهي من تواليف المسلمين".

ب - في أخطاء كثيرة وقع فيها المترجمون- عن حسن نيّة أو سوئها - وذلك بنسبة كثير من المكتشفات العلميّة في الطب والفلك والمناظر وعلم المثلثات إلى علماء من أوروبا بينما المكتشف الحقيقي لها هو عربي أو مسلم كتب بالعربيّة وعاش قبل المسيحي الأوروبي بقرون، والغريب أن بعض الموسوعات العلميّة الحديثة والمعاصرة أصرّ أصحابها على الخطأ دون أن يحرّك العرب ساكنا لإصلاحها أو على الأقل لتنبيه أصحابها إلى وجوب تدارك خطئهم.

ث - المرحلة الثالثة : جذر الجدل والتشويه

لئن برز في القرن 12/6 جذر الاستفادة العلمية من التراث العربي وفيه شيء من التبشير ثم ظهر في القرن 13/7 جذر التبشير وفيه شيء من التّشويه فقد لاح في بداية القرن 14/8 جذر التشويه وفيه شيء من الرّغبة في السيطرة على دار الإسلام . وهي جذور نفصلها منهجيّا، لكنّها مرتبطة واقعيّا وتاريخيا.

ومن هذا الجانب التاريخي، لئن تمكن المرابطون ومن بعدهم الموحدون خلال القرنين 5 /11 و12/6 من خلق شبه توازن عسكري بين الهلال والصليب في شبه

[14] جسّم هذه الأنانيّة المفرطة بمدرسة سالارنو في جنوب إيطاليا المترجم والمؤلف قسطنطين الإفريقي، فقد نسب إلى نفسه كثيرا من مصادر المدرسة الطبيّة القيروانية بعد ترجمتها.

الجزيرة الإيبيريّة، فإن بداية القرن 13/7 كانت مؤذنة بتصدّع الجدار الأندلسي نهائيا إثر معركة العقاب 1212/609. لقد فُتح الباب على مصراعيه أمام حركة الاسترداد المسيحيّة فتمّ الاستيلاء على أهم مدن الأندلس وقواعدها قرطبة سنة 1236/633. بلنسيّة سنة 636/ 1238 إشبيلية 1248/646.

وبينما كان الإسلام ينهار هكذا في الأندلس وتتقلص أراضيه بسرعة كبيرة، كان على العكس من ذلك يحقق انتصارات باهرة في الشرق على الصليبيين في نهاية القرن 12/6 فقد استرجعت القدس – التي احتلت سنة 1099/493 – سنة 1187/583، ثمّ تلت هذه الحروب الفتوحات التركيّة في القرن 14/8: بدأت في مرحلتها الأولى بفتح القسطنطينيّة في منتصف القرن 15/9 ودقّ أبوب فيينّـــا في القرن 16/10 في مرحلة ثانية.

وقد أدّى تفاقم هذه القوّة العسكريّة التركيّة في البلقان وفي حوض البحر الأبيض المتوسط إلى ظهور المسلم المخيف في العقليّة الأوروبيّة رمزا للشرّ وموضعا للسخريّة وعدوّا للعلم ومحبّا للعنف وشبقا للجنس. أمّا نبوّة رسوله فادّعاء وزور، وما قرآنه إلاّ زيف وبهتان. وهكذا مثل الإسلام ومثله اليهوديّة بداية من القرن 14/8 مذهبا متكاملا لعقائد منحرفة، أو تركيبة إيديولوجية معادية للمسيحية. واستطاعت الكنيسة في القرون الوسطى أن تثبت هويتها ضدّ المسلمين واليهود كما استطاعت أن تثبت هويتها في القرون الأولى المسيحيّة ضدّ الوثنيّة والغنّوصيّة.

ولم يقف علماء المسلمين أمام حملات التشويه الصادرة عن الكنيسة الكاثوليكيّة المتحاملة وبعض رجال الدّين المتعصّبين مكتوفي الأيدي، فظهر ما عرف في الحضارة العربيّة بكتب الردّ على النصارى واليهود معا من ذلك كتاب " مقامع هامات الصلبان" لابن عبد الصّمد القرطبي الفاسي، ألفه وهو أسير بسلمنكة للردّ على قساوستها، ورسالة "السائل والمجيب" لأبي عبد الله محمد الأنصاري الأندلسي، وفيه جادل النصاري وهو أسير في سلمنكة ومجريط وبلد الوليد وشقوبية، وكتابُ "السيف الممدود في الردّ على أحبار اليهود" لعبد الحق السّبتي[15]. وهذا الكتاب يدلّ على أن الإسلام لئن كان مستهدفا أول الأمر من المسيحيين فقد أصبح مستهدفا من المسيحيين واليهود معا.

---

[15] مقال بنشريفة ص72 .

وبالنسبة إلى الاستشراق الإسباني أصبح التبشير بداية من القرن 13/7 وما بعده من أسمى الغايات في وسط المدجّنين من مسلمين ويهود داخلّ إسبانيا، والجدل مع علمائهم لإفحامهم باستعمال براهينهم وحججهم من أجل الأعمال، وقراءة الكتب المقدّسة بلغاتها الأصليّة والاستعانة بالعربيّة في تفسيرها وفهمها من أوكد الواجبات. لذلك ظهرت في إسبانيا -كما رأينا – خدمة لهذه الأغراض معاجم لغويّة عربيّة وترجمات للقرآن إلى اللاتينية وكتب حول تاريخ العرب بما في ذلك تاريخ شبه الجزيرة الإيبيريّة.

ولتحقيق هذه الغايات تأكدت الحاجة لدى الكنيسة الكاثوليكية منذ القرن 14/8 إلى مزيد فهم الدّين الإسلامي، والتعرّف على المجتمعات الإسلامية بنقاط ضعفها وقوّتها. ولا يتسنى ذلك إلاّ بمعرفة اللغة العربيّة بل وإتقانها، فجاء قرار فيينا سنة 12-12/711-1311 برعاية من البابا كليمونتي الخامس، بوجوب تدريس اللغة العربيّة في كلّ من جامعات روما وباريس وأكسفورد، وسلمنكة بإسبانيا[16]. كما قرّر مؤتمر فييناّ تكوين مستشرقين مختصين في الردّ على علماء الإسلام بالقلم، وتكوين منظمة دينيّة من الفرسان للردّ بالسيف في محاولة منهم لمواصلة الحروب الصلبية واسترجاع الأماكن المقدّسة بالمشرق.

وتواصل المنحى الأوّل – المنحى السّلمي – مع بيتروس إسبانوس (بيدرو دي ألكلا) بعد حوالي ثلاثين سنة من سقوط غرناطة سنة 1492/897. فقد أرسله رئيس أساقفة طليطلة فرناندو دي تلابيرا – وهو المتقن للعربيّة حوارا و كتابة وخطابة – للتقريب بين المسلمين والنّصارى في مدينة غرناطة سنة 1499/905 . وقام من أجل ذلك بوضع كتاب باللاّتينيّة عن اللّغة العاميّة الدّارجة بغرناطة، وأضاف إليه معجما عربيّا قشتاليّا يحتوي على 22 ألف كلمة مع مقدّمة في اللهجة العربيّة العاميّة بغرناطة[17] ، وأضاف إليهما كتابا ثالثا عنوانه " المنهج السّليم لتيسير تعليم اللّغة العربيّة" وهو أول

---

(16) تاسست جامعتها منذ سنة 1227/625 واشتملت على 25 كرسيّا منها اليونانيّة والعبريّة . واستمرّ نموّ هــذه الجامعة إلى القرن 17/11 فوصل عدد الكراسي فيها إلى 70 كرسيا ،وبلغ عدد طلاّبها إلى سبعة آلاف طالب.

(17) كما وضع فيه إرشادات تبيّن كيفيّة تعميد النّصارى الجدد مع إعادة كاملة لجميع مسائل التعميد باللّغتين العربيّة والإسبانيّة (بدوي : الموسوعة، ص ص 77-78 ، العقيقي : المستشرقون، ص 580) .

مصنف لقواعد اللّغة العربيّة بأوروبا. وظهر في نفس الفترة لمؤلف أوروبي مجهول كتاب في "نحو اللّغة العربيّة الدّارجة في غرناطة" حسب أبواب النحو اللاتيني. وهما كتابان يدلاّن على التوجّه التبشيري بإسبانيا في الوسط الإسلامي الغرناطي[18] .

وتمثّل مؤلفات بيدرو دي ألكلا ذروة الدراسات العربيّة بإسبانيا ونهايتها معا في القرون الوسطى.

ولئن ناقض الجناح الشرقي للعالم الإسلامي في القرون الوسطى جناحه الغربي من حيث القوّة العسكرية، فقد ربط بينهما عامل مشترك هو الركود الثقافي والحضاري. وتفطّن إلى ذلك ابن خلدون فأشار في مقدّمته إلى أنّ شمس العلوم بدأت في الأفول في الضفة الجنوبيّة للبحر الأبيض المتوسط (العالم العربي الإسلامي) لتبزغ في ضفته الشمالية (العالم الأروبي المسيحي).

واشرأبت الأعناق في إسبانيا إلى مراكز العلم الجديدة بأوروبا، على حساب إهمال التراث العربي الإسلامي، وأدت الرّوح الوطنيّة بتوجيه من الكنيسة إلى التعلّق بكلّ ما هو أوروبي واحتقار كلّ ما هو عربي. ولمّا سقطت غرناطة عاصمة بني الأحمر سنة 1492/897 في قبضة النصرانيّة دخلت إسبانيا مرحلة جديدة في مواجهة الإسلام والمسلمين. لقد تجندت الكنيسة ومن ورائها دولة قشتالة الموحّدة لمحاربة إسلام أعزل من كلّ وسائله الدّفاعيّة، فأدّى ذلك إلى مأساة إنسانية تمثلت في القضاء على الإسلام واليهوديّة بشبه الجزيرة الإيبيرية. وأُجبر أتباع هاتين الديانتين على التنصرّ أو الخروج من وطنهم.وقد لعب كلّ من فرناندو دي تالابيرا رئيس أساقفة إشبيلية والأب فرانشيسكو كسيمانيس دي سيسنيروس في غرناطة الدّور الأكبر في حمل المسلمين واليهود بالقوّة على التنصرّ ممّا أدّى إلى قيام عدّة ثورات في الوسط الموريسكي تمّ طردهم إثرها نهائيا من إسبانيا سنة 1609/1017. وقد زاد الطّين بلّة فتوى الكنسية بأن الكتب العربيّة مليئة بالإلحاد لذا يجب التخلّص منها. وتمّ حرق آلاف النسخ تشفيّا وتنكيلا في الساحات العامّة بغرناطة، وفي إشبيلية أمر القسّ سيسنيروس والملكة خوانا

---

[18] جيوم بوستل مستشرق فرنسي (1501/907 –1581/989) وضع أيضا كتابا في النحو العربي سنة 946/ 1539 بعد رجوعه من مصر واسطنبول وبعد أن أصبح استاذا للعربيّة في الكوليج دي فرانس (المرجع السابق).

سنة 1511/917 بحرق الكتب العربيّة تجاوبا مع ما حدث في غرناطة بعد سقوطها. وكان هذا التصرّف مؤذنا بذبول جذور الحركة الاستشراقية في إسبانيا المسيحيّة خلال القرنين 16/10 و 17/11، بل إلى موت بعض الجذور كجذر الاستفادة الذي مثلته مدرسة الترجمة بطليطلة خير تمثيل خلال قرنين من الزمن.

إن خنق الاستشراق الإسباني تمّ على يد محاكم التفتيش، وحركة الاستعراب ستصبح سرّية خوفا من التهم التي يمكن أن تلحق بالمرء لأنه يعرف العربيّة أو يملك كتبا عربيّة لم يسلّمها بعد صدور الأوامر بحرقها، وخاصّة إذا كانت كتبا دينيّة.

ولئن قال فرناندو دي تالابيرا أوّل مطران لغرناطة بعد سقوطها ورئيس أساقفة إشبيليّة فيما بعد: إنه يقدّم إحدى عينيه راضيا لمن يعلّمه العربيّة حتى يستطيع أن يقوم بالتبشير بين المسلمين، فذاك راجع إلى أنّ سكان غرناطة في بداية القرن 16/10 كانوا يتمتعون بحريّة استعمال لغتهم. أمّا وقد اشتدت وطأة محاكم التفتيش بعد ذلك فقد أخفوا استعمالها في مرحلة أولى، ثم تركوها وأهملوها ممّا أدّى إلى اضمحلالها في مرحلة ثانية، ولم يحتفظوا من لغتهم إلاّ بحروفها يكتبون بها بعض النصوص الدّينيّة في لغة قشتاليّة لم يعد يعرفون سواها. وهذه اللغة القشتاليّة المكتوبة بالعربيّة هي ما اصطلح على تسميته بالألخاميّة.

وانحصر الاستشراق الإسباني في بعض الأساتذة كانوا يدرّسون بالعربية الطبّ والفلسفة، وفي بعض الجامعات كجامعة مدريد (1508/914) و جامعة غرناطة (947/ 1540) وجامعة سانتياجو دي كومبستيلا (1544/951) وجامعة أوفييدو 1557/965. وكانوا يدرّسون فيها اللغات الشرقيّة بالعربية والعبريّة واليونانيّة واللاّتينيّة واحتفظت محاكم التفتيش ببعض المترجمين يحسنون العربية للإيقاع بالموريسكيّين ومحاكمتهم. وسوف تصل إسبانيا إلى درجة أن أصبح ملوكها لا يجدون من يقرأ لهم رسائل ترد عليهم بالعربيّة. ويضطرون إلى الاستعانة ببعض أبناء الموريسكيين لقراءتها لهم.

إن الكنيسة بأوامرها وقراراتها ومحاكم التفتيش بقسوتها وتنكيلها جعلت كلّ جذور الاستشراق تذبل ثم تموت بعد أن خلقت للإسلام واليهوديّة صورة مشوهة وأظهرتهما على أنهما إيديولوجيتان مغرضتان عدّوتان للمسيحيّة، فماتت جهود بعض العلماء في

القرون السابقة لإظهار هاتين الديانتين على حقيقتهما. وكانت قاسمة الظّهر للاستشراق الإسباني في بداية القرن 17/11 عندما قامت السلطة الإسبانية بإيعاز من الكنيسة بطرد الموريسكيين إلى ما وراء البحر، فانقطعت كلّ صلّة بالدراسات الاستشراقيّة وحتى جذر التبشير ضعف في إسبانيا، لأنه انتقل إلى ما وراء البحر والشرق الأقصى.

وبقدر ما خفتت حركة الاستشراق في إسبانيا في القرنين 16/10 و 17/11، فإنها نمت وترعرعت في فرنسا بعد أن توطّدت العلاقة في القرن 16/10 بين تركيا وفرنسا في عهد سليمان القانوني الخليفة العثماني وفرانسوا الأول ملك فرنسا؛ لقد أرسل هذا الأخير بعثة على رأسها المستشرق الفرنسي جيوم بوستال إلى اسطنبول وعاد منها حاملا عديد المخطوطات ونفائسها.

ولئن وُضعت المؤلفات الأولى في الاستشراق بإسبانيا خلال القرنين 12/6 و 13/7 كالمعاجم اللّغويّة والكتب التاريخيّة وتراجم النصّ القرآني، فإن طباعة هذا النوّع من الكتب في القرنين 16/10 و 17/11 لم تتم بإسبانيا بل في بلدان أروبيّة مثل: روما ، وباريس، وطوسقانا التي أسّس فيها الكردينال فرديناندو دي مديتشي مطبعة سنة 1580/988، وليدن التي أُنشئ بجامعتها كرسي للعربيّة سنة 1613/1022 وأصبحت مطبعتها من أشهر المطبعات العربية في أوروبا. وشجع البابا غريغوريوس الثامن على طبع الكتب العربيّة في محاولة منه لتوحيد الكنيستين الرّومانيّة والشرقيّة 1586/995. وكان البابا يوليوس الثاني قبل ذلك وفي بداية القرن 16/10 قد قام بنشر الصّلوات السبع بالعربية لأقباط مصر سنة 920/ 1514. ونشر جوستنيانو أسقف نابيو سنة 1516/922 الزبور بأربع لغات منها العربيّة، وطبع القرآن لأول مرّة سنة 1694/1106 بالعربيّة رغم أن البابا ألكسندر VII (1655/1066 – 1667/1078) منع طبع القرآن وترجمته خوفا من تأثيره في الوسط النّصراني.

لقد كان للطباعة دورها في معرفة أوروبا بالتراث العربي الإسلامي وخاصّة الدّيني منه. وانضاف إلى الطباعة في القرون الوسطى ما عرف بكتب الرحالة والمغامرين الذين قاموا بزيارة شمال إفريقيا والشرق الأدنى و الشرق الأقصى ففتحوا الباب على مصراعيه عن عجائب الشرق وغرائبه وعن كنوزه وتراثه فسال لعاب

الطّامعين في خيراته. وهكذا بدأ جذر الاستشراق الاستغلالي الممهّد للتّوجه الاستعماري في النموّ. وبدأت المصالح الاقتصاديّة تؤخذ بعين الاعتبار في الدّراسات الاستشراقيّة خاصّة مع بداية ضعف القوّة العسكريّة التركيّة في بداية الثلث الأخير من القرن 16/10 وظهرت نوايا الغرب في تجزئة العالم الإسلامي تمهيدا للسيطرة عليه. ومع هذه النوايا الاستعماريّة ظهرت صورة مشوّهة في الدّراسات الاستشراقيّة عن الإسلام ماضيا وحاضرا. وفي هذه الفترة بدأ التساؤل عن سبب تخلّف العالم الإسلامي بالنسبة إلى أوروبا، وأسرع بعض المستشرقين لتحميل الإسلام مسؤولية ذلك باعتباره دين تخلف.

لئن كان لكتب الرّحلات هذا الوجه السّلبي، فقد كان لها وجه إيجابي تمثل في إطلاع أوروبا من خلال كتب الرّحلات على ثقافة عربيّة إسلاميّة فيها كثير من طريف الأفكار ورقيق المشاعر ونبيل العواطف، وعلى آداب شرقيّة لا تخلو من حسّ مرهف وخيال مجنّح وحلاوة تعبير .

وظهر توجّه جديد في الاستشراق الأروبي هو أن حضارة الإسلام لا يجب أن تخفي حضارات الشرق. وبدأ الاهتمام من جديد بتدريس العربيّة وغيرها من لغات الشرق الأقصى مهد الحضارات العريقة.

ولئن لم تكن إسبانيا في حاجة إلى معرفة الشرق وسحره بالسّفر إليه لأن جزءا من تراثها العريق هو شرقي أساسا بما تملكه من مخطوطات وما تضمّه من معالم، فقد تأثّر أدبها بالتراث العربي الإسلامي بصفة عامّة والتراث الأندلسي بصفة خاصّة. وقد بيّن النقد الحديث أن كثيرا من قصص هذه الفترة وأساطيرها ورواياتها ومسرحياتها ودواوينها، أثَرُ الأدب العربي المشرقي والمغربي واضح فيها، وخير مثال على ذلك الشاعر الإسباني القرطبي جونجورا لويس دي جونجورا (1561/969– 1627/1037) فهو يلتقي مع الشعر العربي في كثير من صوره ولغته. ويمكن أن نضيف قصيدة " آه من حامّتي" الرّومانثيّة لشاعر مجهول، ورواية " الحروب الأهليّة في غرناطة" لبيريث دي هيتا التي صدرت في سنتي 1595/1004 و 1029/ 1610 ورواية ابن درايث التي ظهرت بعد سبعين سنة من سقوط غرناطة.

وقد استمرّ هذا التأثير في أدباء إسبانيا الكبار مثل : دي روخاس (ت 1541/948) وسرفانتس (1616/1025) ودي فيجا (ت 1635/1045) ودي لاَبَاركا (ت 1681/1092).

وهكذا نرى أنّ جذور الاستشراق لئن ذبلت ومات بعضها، فإن نسغها بقي يجري في عروق مبدعيها أدبا رائعا ومؤثرا، وقيما فنّية أصيلة ومتميّزة.

III-الفصل الثالث : الجذوع

(القرن 12 / 18)

مقدّمـــــة :

رأينا في الفصل الأوّل بذور الاستشراق الإسباني في شبه الجزيرة الإيبيريّة ، وفي الفصل الثّاني رأينا كيف أصبحت البذور جذورًا نمت وترعرعت ، ثمّ انكمشت وذبلت ، لكنّها لم تمت ، بل بقيت في تربتها تترقّب مَنْ يُعيد إليها ماء الحياة برعايتها سقيا وتسميدًا .

ونزل الغيث، غيث عصر التّنوير على أروبا في القرن 12 / 18 فأنبت على أرضها شجيرات يانعة لموسوعات علميّة متعدّدة، وانعشت أزاهير عَطِرة لمذاهب فكريّة متفتّحة.

وكان لهذه الموسوعات والمذاهب أثرها في حركة الاستشراق بأروبا، فظهرت مدارس جديدة مختصّة في الدّراسات الشّرقيّة بالنّمسا وهولندا وإنجلترا. وخاصّة فرنسا التي ظهر فيها أبرز عالم في الاستشراق الأروبيّ في القرن 18/12 ، والقرن الذي يليه، وهو الفرنسي سلفاستردي ساسي (1758/1172-1839/1255).

وأعطت حملة نابليون بونابرت على مصر في أواخر القرن 18/12 نفسا جديدًا، ودفعا قويّا لحركة الاستشراق. وأصبحت أروبا، بعد أن عرفت التّراث الأدبي للشّرق عموما تتذوّق هذا الأدب العربيّ منه والفارسيّ والتّركيّ والهندي .

وفي هذه الأجواء العلميّة المتفتّحة ، والنّوايا الاستعماريّة المبيّتة ، برز ضمن الاستشراق الأروبي بصفة عامّة :

أ – جذع جمع المخطوطات وفهرستها [1] .

ب – جذع ترجمة روائع الإبداع الأدبي والنّبوغ الفكري للشّرق عموما .

ج – جذع الدّراسات الموضوعيّة المختصّة [2] .

---

[1] بدأ في القرن 18/12 جمع المخطوطات بصفة رسميّة من مختلف البلدان العربيّة بطرق شرعيّة وغير شرعيّة . وخير مثال على ذلك ما قام به المستشرق أنتكال دو برّونAntiquel Duperronمن جَمـع لمخطوطات نفيسـة عربيّة وشرقيّة ونشر لبعضها .

[2] كان القرن 18/12 قرن الاستشراق المستنيـر بصفة عامّة في أروبّا، فقد ظـهرت دراسات موضـوعيّة حول الإسلام وتاريخه وحول نبيّه وكتابه المقدّس . ولا تخلو هذه الدّراسات من تعاطف مع التّاريخ الإسلامي، ودفاعا عن الرّسول . وخير مثال على ذلك كتاب الهولندي هادريان رولاند Hadrian Reland (1676/1087 – 1131/ 1718 " الدّيانة المحمديّة " وقد ترجم الكتاب إلى الإسبانيّة (بدوي : الموسوعة، ص.ص 307-308) .

جذوع الاستشراق الإسباني :

وبالنّسبة إلى إسبانيا برزت جذوع شجرة الاستشراق الإسباني على يد الملك كارلوس الثّالث (1788/1203-1716/1129) :

1) **جذع المخطوطات:** وذلك عندما قام هذا الملك باستدعاء الرّاهب اللّبناني ميخائيل الغزيري (1791/1206-1710/1122) إلى مدريد قصد فهرسة المخطوطات العربيّة بمكتبة دير الأسكريال. وبدأ هذا الرّاهب الجليل في العمل سنة 1749/1163. وصدر الجزء الأوّل من الفهرس 1760/1174، والجزء الثّاني 1770/1184، وأكمل عمل الغزيري كلّ من الفرنسيين دورنبورغ في القرن 19/13، ولفي بروفنسال في القرن 20/14 [3].

2) **جذع الترجمة** : الترجمة في القرن 18/12 لم تعد إلى اللاّتينيّة كما كان الأمر في القرنين 12/6 و 13/7، وإنما أصبحت إلى اللّغة الإسبانيّة فقط . وقد شجّع الملك كارلوس الثّالث ترجمة الكتب العلميّة وخاصّة في الطبّ والفلاحة . وبفضل هذا التّشجيع قام المستشرق الإسباني الأب خوسيه بانكيري [4]- وبتوجيه من الغزيري - بترجمة كتاب "الفلاحة " لابن العوّام إلى الإسبانيّة ، ثمّ تُرجم هذا الكتاب إلى الفرنسيّة في القرن 13 / 19 .

ومن المستشرقين الإسبان الذين ساهموا في جذع التّرجمة وعاشوا في صميم القرن 18/12 المستشرق والأديب بابلو لوثانو إي كاسيلا : ولد في مدريد وأتقن عدّة لغات قديمة منها العربيّة والعبريّة واليونانيّة واللاّتينيّة . قام بنشر بعض كتب الفيلسوف ابن مسكويه، كما صنّف كتابا في الشّعر اليوناني واللاّتيني والعبري والعربي [5].

---

[3] بدوي : الموسوعة، ص.ص 385-386 .

[4] تعلم بانكيري العربيّة والعبريّة على الأب ميخائيل الغزيري، وانتخب عضوا في مجمع التاريخ (1783/1198) وعيّن مترجما في المكتبة الملكيّة (1794/1209)، وتوفي (1818/1234) (بدوي : الموسوعة، ص 580).

[5] العقيقي، ص 580 .

3) **جذع الدّراسات** : برز جذع الدّراسات في شجرة الاستشراق الإسباني على يد الملك كارلوس الثّالث نفسه، فقد شجّع الباحثين على الاهتمام بالدّراسات اللّغويّة العربيّة . وشجّع الإداريين بأن جعل من معرفة العربيّة وإتقانها سلّما لارتقائهم في وظائفهم .

وخير من يمثّل الاستشراق الإسباني في القرن 12/ 18 في مجال الدّراسات :

أ- **الأب كانيس الفرنسيسكاني Francisco Canes** راهب من الحفاة Descalzo، أقام في فلسطين وسوريا ولبنان ست عشرة سنة . علّم الرّهبان العربيّة بدمشق . كما كان مبشرا ومدرّسا للّغة العربيّة في كلّية الآباء المبشّرين الإسبان بدمشق، عيّن عضوا منتخبا في أكاديميّة التّاريخ بمدريد [6] .

ألّف الأب كانيس كتاب " قواعد اللّغة الأندلسيّة العاميّة والفصحى " فيه أكثر الألفاظ تداولا في الحوار اليومي، وأضاف إليه نصّا في العقيدة المسيحيّة باللّغة العربيّة. كما صنّف قاموسا إسبانيا – لاتينيّا – عربيّا طبع بمدريد 1189 / 1775 . وله، زيادة على الكتابين السّابقين ، معجم عربيّ طبع سنة 1202 / 1787 بمدريد، وكتاب " مشاهد أندلسيّة" اعتمد فيه على المصادر العربيّة والنّصرانيّة [7].

ب – **القسّ خوان أندرس Juán Andres** : تلميذ الغزيري . قام بالاطلاع على مخطوطات الأسكريال والبدء بدراستها دراسة علميّة نزيهة جعلته يقول بكلّ جرأة واقتناع : " إنّ أروبا مدينة للعرب والمسلمين في كلّ العلوم والفنون والآداب ، وإنّها قلّدت المسلمين في كلّ مناحي حياتهم الاجتماعيّة والمعيشيّة " ، وقد جعله قوله هذا هدفا لسهام مسمومة من المتعصّبين من مستشرقي أروبا وإسبانيا . ولقد أثبتت الأيّام صحّة آرائه في كثير من المواضيع . وضُرب بعرض الحائط بكثير من مزاعمهم الوهميّة وإدّعاءاتهم الباطلة .

وعوقب أندرس بالنّفي من بلاده ، وشُطب اسمه من قائمة رجال الدّين اليسوعيّين، وفي منفاه وضع كتابه الموسوعي بالإيطاليّة " أصول الآداب العالميّة

---

[6] بدوي : الموسوعة، ص 459 .
[7] المرجع السابق نفسه .

وتطوّرها " فجّر فيه عديد القضايا الأدبيّة والفكريّة. طبع الكتاب في 8 مجلّدات وترجم إلى الإسبانيّة سنة 1225 / 1806 في سبع مجلّدات .

أظهر أندرس في هذا الكتاب بكلّ موضوعيّة ما للعرب والمسلمين من الفضل على نهضة أروبا وانتقالها من مَرحلة الهمجيّة إلى مرحلة المدنيّة، وهو ما اعتُبر آنذاك إهانة مقصودة للمجتمع الأروبي . اتّهم أندرس بالجنون رغم أنّ هناك من الكتّاب في القرن 18 من سانده في آرائه أمثال جيرُولامُو تِيُورا بُوشيJirolamo Tioraboschi في كتابه "تاريخ الأدب الإيطالي" المطبوع في روما سنة 1213 / 1798 ، وكذلك في القرن 13 / 19 أمثال المستشرق بورجستّال في عدّة مقالات بالمجلّة الآسيويّة(1255 / 1839) أكّد فيها على وجود تشابه بين الشّعر الأروبي والشّعر الغنائي العَربي عامّة والشعر الأندلسي بصفة خاصّة ، وكذلك المستشرق الألماني أدُولف فريديش شاك في كتابه " الشّعر العربي في إسبانيا وصقليّة " (طبع 1282 / 1865) .

لكن هذه المساندة لم تمنع من تعرّض أندرس إلى هجوم عنيف من طرف مستشرقين أروبيّين وإسبانيّين كبلديّه استبان أرسنج Esteban Arcenga في كتاب له عنوانه : "حول تأثير العرب في نشأة الشعر الحديث في أروبا " المطبوع بروما 1206 / 1791 . ويرى الأستاذ الجليل محمود علي مكّي أنّ كتاب أندرس يعتبر أوّل كتاب ظهر في أروبا في ميدان الأدب المقارن قبل أن يظهر هذا النّوع من فروع الدّراسات الأدبيّة بفرنسا في مطلع القرن 13 / 19 [8] . كما مهّد هذا المستشرق الإسباني الكبير لانطلاقة جديدة للدّراسات الأندلسيّة في بداية القرن 13 / 19 . وله في هذا المجال عدّة مقالات حول الموسيقى العربيّة عامّة والأندلسيّة بصفة خاصّة .

ومن المستشرقين الإسبان المخضرمين الذين كان لهم دورهم في إحياء الدّراسات الاستشراقيّة ببلادهم ، وساهموا تقريبا في كلّ جذوع شجرة الاستشراق الإسباني .

أ- **المستشرق المخضرم ما بين القرن 12/ 18 و 13/ 19 الأب فري باتريسيو دِي لاتورّي:** ولد في كُونسويجرا دِي لامنشا من أعمال طليطلة سنة 1190 / 1776، وتوفّي بمدريد 1235/ 1819، انضمّ إلى الرّهبنة 1190/ 1776 وانتمى إلى مدرسة الأسكريال وتعلّم

[8] محمود علي مكي : ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، ص 7 .

العربيّة بمدريد 1199 / 1784 ، أرسل إلى طنجة ليتعلّم اللّهجة المغربيّة سنة 1212 / 1797 . وسافر إلى فاس ضمن بعثة طبيّة إسبانيّة سنة 1215 / 1800 . وكانت مهمّة هذه البعثة حماية ملك المغرب من الطاعون الذي ضرب مملكته سنة 1214 / 1799 وذهب بثلثي الرّعيّة ، أقام في المغرب إلى سنة 1218 / 1803 . ولمّا رجع إلى إسبانيا عاد إلى التّدريس ، وعيّن عضوا في مجمع التّاريخ في هذه السّنة نفسها .

من مؤلفات هذا المستشرق ودراساته المتعدّدة نذكر :

- معلومات تاريخيّة مختصرة عن مدينة فاس ، سجّل فيه انطباعاته عندما أقام بهذه المدينة .
- رحلة من طنجة إلى مكناس .
- تقرير عن أبواب غرناطة (عددها 18 بابا) [9] .
- أمثال عربيّة مرتبة ترتيبا أبجديّا .
- قواعد اللّغة العربيّة .
- نشر المعجم العربي القشتالي لبيدرو دي ألكلا بتحقيق الغزيري، سنة 1220 / 1805[10].

ب – أمّا المستشرق الذي غذّى جذوع شجرة الاستشراق الإسباني – في النّصف الثاني من القرن 12 / 18 وبداية القرن 13 / 19 – عن جدارة وبراعة ، فهو المستشرق **المخضرم خوسي انطونيو كوندي José Antonio Conde (1179/ 1765 - 1236/ 1820):** ولد في براليخه من أعمال كونيكا ، ودرس في معهدها الدّيني وتعلّم في جامعة سلمنكة، وجامعة ألكَالاَ دِي إينارِيس بضواحي مدريد .

عيّن أمينا لمكتبة الأسكريال . وبذل جهدًا كبيرًا للاطلاع على المخطوطات العربيّة والمسيحيّة . فكان من أوائل المكتشفين لكنوز الحضارة العربيّة الأندلسيّة ، ولم تكن توجد قبله دراسات عربيّة علميّة موثّقة بالمعنى الأكاديمي .

---

[9] انظر حول هذا الموضوع مجلة الأندلس VII / 1942، ص.ص 438-458 .

[10] مقال خوسي سانشز بيريث : مستعرب إسباني من القرن 18/12 ، فري باتريسيو خوسي دي لاتورّي في مجلة الأندلسXVIII/ 1953، ص.ص 450-455 بالإسبانيّة) .

أصبح في سنة 1204 / 1789 أستاذ كرسي اللّغة العبريّة في جامعة ألكالاَ . وفي سنة 1205 / 1790 عيّن لتدريس اللّغة اليونانيّة والعربيّة ، كما أصبح سنة 1210 / 1795 أمينا للمكتبة الملكيّة وظلّ في هذا المنصب عشرين سنة .

اتّهم بأنه تعاون مع الفرنسيّين أثناء حكمهم لإسبانيا فنفاه الملك فرناندو السّابع سنة 1230 / 1814 بعد أن جرّده من جميع مناصبه . فغادر وطنه إلى فرنسا . وفيها وضع كتابا عنوانه " تاريخ الحكم العربي في إسبانيا [11]" أنصف فيه التّراث الأدبي في الأندلس وبيّن دوره الإيجابي في النّهضة الأدبيّة الأوروبيّة [12] . وقد سانده في هذا الرأي المستشرق الأمريكي جيمس مونرو في كتابه " الإسلام والعرب في الدّراسات الإسبانيّة من القرن 10 / 16 إلى العصر الحاضر " وقاومه بعنف وفنّد آراءه المستشرق الهولندي المُتعصّب ضدّ الإسلام والمسيحيّة معا دُوزي .

وكان لكتاب كوندي أثره في المستشرق جسْبَارمَارِيَا دِي نُوفا ألبريث Gaspar Maria de Nova Alvarez فقام بترجمة مختارات من الشّعر العربي والتّركي إلى اللّغة القشتاليّة (طبع كتابه بباريس 1249/ 1833) وجاء في مقدمته : " إنّ هذه الأشعار تشتمل على صور رائعة وجميلة وعاطفة راقية أعلى بكثير ممّا نجده في الأشعار الواردة علينا من وراء جبال البرانس" [13] .

وزيادة على الكتاب السّابق نشر كُوندي في السّنوات الأولى من القرن 13 / 19 دراستين لهما علاقة ثانويّة بالحضارة العربيّة . وصنّف كتابا في النّقود العربيّة وخاصّة المسكوكة بإسبانيا (نُشر بمدريد 1233 / 1817) .

وقام بترجمة كتاب الإدريسي : نزهة المشتاق (القسم الخاصّ بإسبانيا من هذا الكتاب) . ونَشر النصّ العربي والتّرجمة بمدريد 1214 / 1799 .

---

(11) نشر الجزء الأوّل والثاني سنة 1236 / 1820 ، والثالث نشر بعد وفاته 1821/1237 . ترجم هذا الكتاب إلى الألمانيّة سنة 1824/1240 وإلى الفرنسيّة سنة 1825/1241 ، ويُعَدّ أكمل كتاب عن تاريخ المسلمين بإسبانيا اعتمد المصادر العربيّة .

(12) د. مصطفى الغديري : الحركة الاستعرابيّة : مدرسة كوديرا نموذجا (دراسات أندلسيّة عدد 29/ 2003 . ص.ص 25-43) .

(13) المرجع السّابق نفسه .

اتّهم بأنّه قال : إنّ كُلّ مَزامير داود ليس فيها ما يدعو إلى الإعجاب سوى أنّها كُتبت شعرا ، وبأنّه ألّف كتابا يتغنّى بالجنس .

ولعلّ إنصافه للحضارة العربيّة وموضوعيّته جعلته هَدفا، بعد وفاته، لِمجموعة من المستشرقين الإسبان، وكذلك المستشرق الهولندي دُوزي، فقد اتهموه بأنّه لم يكن يُحسن اللّغة العربيّة ، وأنّه لم يستفد من كنوز مكتبة الأسكريال ، وبأنّه قد زيّف بعض الوقائع التاريخيّة [14].

مات هَذَا المستشرق العظيم فقيرا بفرنسا، وقام بعض أصدقائه بدفع تكاليف جنازته ودفنه ، وكان أحدهم يلقّبه بالعالم المُسلم لنزاهته في دراسته للحضارة العربيّة الإسلاميّة بالأندلس .

---

[14] يمكن أن نذكر مثالا على ذلك قوله : إنّ مُوسى بن نصير عامل سكّان ضواحي قطلونية ونبرّة واراغون معاملة سيّئة لأن أهلها قاوموه مُقاومة عنيفة ، دون أن يذكر مصدره في ذلك .

IV-الفصل الرّابع : الغصون

I-القرن 13 / 19

مقدّمة :

لقد رأينا في الفصل السّابق جذوع شجرة الاستشراق في القرن 12 / 18 وقد ارتوت بما نزل من غيث نافع في عصر التّنوير . وفي بداية القرن 13 / 19 ظهرت أغصان هذه الجذوع ببراعم تنبئ بكلّ ثمر طيّب وخبيث معا .

وبصفة عامّة تطوّر الاستشراق في القرن 13 / 19 ، واتّسعت ميادينه وتعدّدت مواضيعه ، وشعر علماؤه بضرورة التخصّص، فكان أن برزت غصون مزهرة كغصن الدّراسات الإسلاميّة ، وغصن الدّراسات اللّغويّة ، وغصن الدّراسات التّاريخيّة ، وغصن الدّراسات العلميّة . ولكلّ غصن براعم تنبئ بمزيد التخصّص والتعمّق .

وفي هذا القرن اتّضحت جليا أطماع الدّول الاستعماريّة في شرق هزيل ومتخلّف، فأحيت بأطماعها تلك روح الحركة الصّليبيّة التي أجهضت في القرون الوسطى . وهكذا ارتبط الاستشراق أو على الأقلّ بعض جوانبه بالمدّ الاستعماري . وظهرت من خلال بعض الغصون أشواك إيديولوجيّة تؤمن بأنّ هذا الشّرق المستهدَف يختلف جوهريا عن الغرب المستهدِف في أسلوب معيشته وعاداته ، في عقليّته وتفكيره . والأخطر من هذا تأكيد هذه الإيديولوجيّة على أنّ ديانة هذا الشرق وفلسفته أبديّة لا تخضع للتطوّر ولا تساعد عليه . ووصل الأمر بالمستشرق أرنست رني (1239 / 1823 – 1310 / 1892) إلى حدّ القول : إنّ السّاميّين منحدرون من أصل واحد يتميّز أفراده بتشابه لغاتهم وعقليّاتهم ونظرتهم الجزئيّة إلى الأشياء المانعة لهم من كلّ خلق وابتكار ، زيادة على إيمان ساذج بالغيبيّات وتعلّق كبير بالماورائيّات [1].

وانطلاقا من هذه العنصريّة البغيضة التي وقف في وجهها بعض زعماء الإصلاح كالأفغاني ، اتجهت الدّراسات الاستشراقيّة إلى كلّ ما من شأنه أن يمهّد للغزو العسكري في مرحلة أولى ، وتوطيد نفوذ الغرب على شعوب الشّرق لاستغلال ثرواتها

---

[1] عيّاد محمّد كامل : صفحات من الاستشراق (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق: مج 40/ عدد 1، 1965 ، ص583) .

وابتزاز خيراتها وجعلها سوقا كبيرة لإنتاجه في مرحلة ثانية، ووضع الخطط الكفيلة بإجهاض كلّ حركة مقاومة تسعى للتخلّص من نير الغرب وغطرسته .

وكلّ مرحلة من هذه المراحل الثلاث تطلبت نوعا من الدّراسات متميّزا لتحقيق الهدف المنشود منها . وكانت الغاية النّهائية لجميعها فسح المجال أمام حركة التّبشير بين شعوب الشرق وفي مجتمعاته باعتبارها هدفا أسمى لرجال الدّين وواجبا مقدّسا للكنيسة . ويستغلّ هؤلاء الظروف الاجتماعيّة الصّعبة لتلك الشّعوب فينشئون مؤسسات خيريّة كدور الحضانة والأيتام ومستشفيات للأمراض المزمنة وكبار السنّ ، ومدارس للفقراء والمعوزين . وهذا لئن كان عملا إنسانيّا لابدّ من التّنويه به ، فالمقصود من ورائه هو غرس العقيدة الدّينيّة المسيحيّة بالدّرجة الأولى .

ولخدمة الاستعمار بمراحله الثلاث وأهدافه الخفيّة والظّاهرة ، كان إلى جانب العلماء الأكاديميّين والأساتذة الجامعيين والخبراء الأثريّين في مجال الدّراسات الاستشراقيّة، موظفون كالمترجمين في وزارات الخارجيّة وإداريين في وزارات المستعمرات وجواسيس في دوائر الاستخبارات والجيش .

وتركّزت أغلب الدّراسات الاستشراقيّة على ماضي العالم الإسلامي ، وقليل منها على حاضره ومستقبله .

وبالنّسبة إلى الماضي اقتصرت بعض البحوث على الجانب السّلبي من تاريخ الإسلام للتّقليل من دوره الحضاري في تطوّر البشريّة فوقع الاهتمام بالفتن الأهليّة والفرق الدّينيّة ، وعلى مظاهر التّناحر والانقسام بين ممالك الإسلام ودوله ، إلى جانب المجالات اللّغويّة والمؤثّرات الخارجيّة التي تفرغ حضارة الإسلام من كلّ خلق وابتكار: فالعقيدة الإسلاميّة ماهي إلاّ مزيج من اليهوديّة والمسيحيّة ، والفلسفة الإسلاميّة ماهي إلاّ فلسفة يونانيّة، في كثير من الأحيان مشوّهة بلغة عربيّة [2] .

وهكذا ارتبط الاستشراق العلمي بالاستعمار الاستغلالي وبالتّبشير الدّيني ارتباطا عضويّا . وأصبح الاستشراق مدعّما مادّيا ومعنويّا من الكنيسة والدّولة معا ، فساهمتا في رعاية مؤسّساته وإنشاء جمعيّاته وتدعيم مراكز بحثه في داخل أوروبا وخارجها .

---

[2] عاقل نبيه ، ص 2-181 .

ولاحت غصون في شجرة الاستشراق خلال القرن 13 / 19 كلّها أشواك دامية وثمار فجّة ، تقارب فيها الاستشراق العلمي من التّبشير الدّيني، والاستعمار الاستغلالي من الانتقاد التّشويهي .

1) القضايا والاتجاهات والمواضيع :

وبالنّسبة إلى إسبانيا – التي هي جزء من هذا المحيط بسلبيّاته وإيجابيّاته – تركّزت البحوث فيها خلال القرن 13 / 19 على التّراث العربي الأندلسي . إنّ عمليّة الإحياء التي بدأت في القرن 12 / 18 ، بدأت تعطي أكلها في هذا القرن ، فقد انكبّ المستشرقون الإسبان على كنوز الحضارة الأندلسيّة – تحقيقا ودراسة – في كلّ مجالاتها : التاريخيّة والدّينيّة ، الأدبيّة والعلميّة ، الفنيّة والمعماريّة ، واهتمامنا بالمستشرقين الإسبان ، لئن اقتضته منهجيّة هذا البحث، فإنّ ذلك لا يعني أنّهم احتكروا هذا التخصّص ، بل بالعكس هناك من المستشرقين الأوروبّيين من جنسيات مختلفة من كان لهم دور فعّال خلال هذا القرن في مـجال الدّراسات الأندلسيّة كالهولنـدي دوزي (1236 / 1820 – 1301 / 1883 والألماني جراف فون تشاك : Graf von Schack(1231 / 1815– 1312 / 1894) على سبيل المثال لا الحصر .

ومن خلال هذه العناية ، تفتّحت في شجرة الاستشراق الإسباني براعم تمثّل قضايا كبرى سيستمرّ النّقاش فيها بين المغرضين والمنصفين للحضارة العربيّة الأندلسيّة خلال القرن 13 / 19 و 14 / 20 :

–**القضيّة الأولى** : هل أنّ الفترة العربيّة الإسلاميّة ، وقد دامت مدّة طويلة ، هي فترة يجب أن يعتزّ بها الإسبان باعتبارها جزءا من شخصيتهم وهويّـتهم ، ومن حضارتهم وتاريخهم، أو يجب أن تنسى أو على الأقلّ يجب أن تهمّش باعتبارها فترة حالكة مظلمة، قاسية وعنيفة في تاريخ إسبانيا ؟

–**القضيّة الثانية** : هل كان للعرب دور في تطوير إسبانيا حضاريا خلال فترة حكمهم لها ، أو بالعكس كانوا سببا في تخلّفها عن ركب الحضارة الأوروبيّة وبالتّالي في ركودها؟

-**القضيّة الثّالثة** " إذا كان للعرب دور حضاريّ في شبه الجزيرة الإيبيريّة . هل يرجع الفضل فيه إلى العنصر العربي أو يرجع إلى عناصر أخرى ، وبالتّالي فإنّ الدّور العربي هو دور هامشيّ لا يُعبأ به ؟

ومن خلال هذه القضايا برز تيّاران كبيران :

-**الأوّل** : قويّ ويتكلّم جهارًا ، ويمثّل الجانب السّلبي في تقييم فترة الحكم العربي ، ودور العنصر العربي في مختلف مجالات المعرفة خلالها .

-**الثاني** : ضعيف ويتكلّم همسا ، ويمثّل الجانب الإيجابي في النّظرة إلى العرب ودورهم الحضاري بشبه الجزيرة الإيبيريّة .

ولئن كان التيار الأوّل متناسبا عكسا مع الزّمن ، فإنّ التيار الثاني متناسبا طردًا معه أي كلّما توغّلنا في صميم القرن 13 / 19 ازداد التيار الأوّل تقهقرا والثاني تمكّنا لهشاشة براهين الأول وضعفها ونصاعة حجج الثاني وقوّتها .

ومن خلال تلك القضايا وهذه التيّارات، ظهرت أغصان في شجرة الاستشراق الإسباني ، تمثّل مواضيع جديدة ، وأخرى تُطرق بمنهجيّة جديدة .

أ- من المواضيع الجديدة موضوع **الأدب الألخميادو** . وهو أدب تلك الفئة المسحوقة من الأمّة الإسبانيّة التي تمّ طردها نهائيا سنة 1017 / 1609 بقرار سياسي ظالم. إنّهم الموريسكيّون أصحاب هذا الأدب . ويعزو بعض المؤرّخين الإسبان المنصفين للحضارة العربيّة بالأندلس سبب ركود إسبانيا اقتصاديا وحضاريا إلى طرد هذه الفئة من الأندلسيّين لأنّهم كانوا مهرة في مجالات اقتصاديّة عدّة كالصّناعة والتّجارة وخاصّة الفلاحة . لقد انكبّ على هذا الأدب مستشرقون روّاد ، أنفقوا من جهدهم الفكري ومالهم الشّخصي لجمع مخطوطات هذا الأدب ونشره ودراسته .

ب- من المواضيع القديمة الجديدة في شجرة الاستشراق الإسباني ، ولكنها طُرحت بقوّة في القرن 13 / 19 . وستستمرّ في القرن 14 / 20 **موضوع أهل الذّمة** . ومع الأسف اتّخذه أصحاب التيّار الأوّل سبيلا للطعن في الإسلام بإنكار قيمه ، والتجنّي على رجاله بتهميش فضائلهم ، وذلك بتزوير الحقائق وتزييف الأخبار دون ذكر لمصادر مزاعمهم وادّعاءاتهم . من ذلك ما عرف بوثيقة عمر التي نشرها المستشرق

بَلان Belin في المجلّة الآسيويّة " وتلزم هذه الوثيقة النّصارى بارتداء ملابس مثل القلنسوّة والعمامة وعدم ركوب الخيل وغير ذلك ممّا لا يتصوّر صدوره عن الخليفة العادل عمر، فضلا عن أنّ بعض هذه الملابس لم يكن لها وجود في عهده " [3].

ج- **تحقيق التّراث** : لئن كان مجال تحقيق التّراث موجودًا في القرن 12 / 18 ، فإنّه سيأخذ بعدًا جديدا وبمنهجيّة علميّة حديثة مع المستشرق الكبير كوديرًا ومدرسته في النّصف الثاني من القرن 13 / 19 .

ومن النّاحية التاريخيّة يمكن أن نعتبر المستشرق باسكوال دِي جايانجوس وريث المدرسة الاستشراقيّة الإسبانيّة ممثلة في جهود الغزيري وأندرس وكوندي ودي ألبارث خلال القرن 12 / 18 . كما يمكن أن نعتبره فرعا من فروع المدرسة الاستشراقيّة الفرنسيّة أيضا بعد أن تتلمذ على المؤسس الحقيقي للاستشراق الأروبي ونقصد العالم الفرنسي المخضرم سلفاستر دِي ساسي.

وإذا كنّا نعتبر كوندي هو رائد الدّراسات العربيّة في إسبانيا، فإنّ جايانجوس هو المؤسس الحقيقي لمدرسة الاستشراق الإسباني الحديثة ، فقد كوّن له تلاميذ عديدين وأصبح له أتباع متحمّسون للدّراسات العربيّة الإسلاميّة في شبه الجزيرة الإيبيرية خلال القرن 13 / 19 ، فمن هو جايانجوس ؟

2) التّرجمة لزعيمي الاستشراق الإسباني في القرن 19/13:

أ- غصن الأبنوس في ترجمة جايانجوس :

*** حياته :**

ولد جايانجوس بإشبيلية سنة 1224/ 1809 ، وتوفي بلندن 1315/ 1897 . ينتمي إلى عائلة من الطبقة العليا في المجتمع الإسباني ، فقد كان أبوه الحاكم العسكري للمكسيك.

وفي الثالثة عشرة من عمره أي سنة 1238 / 1822 استقرّ أهله في باريس، وبها درس العربيّة على المستشرق سلفاستر دي ساسي في الكولاج دي فرانس ثمّ في معهد اللّغات الشّرقيّة خلال ثلاث سنوات . وعندما رجع بعد بضع سنين إلى إسبانيا واصل

[3] مصطفى الشكعة : المغرب والأندلس ص 60 .

دراسته للّغة العربيّة بالمعهد الملكي للدّراسات "سان إزدرو" بمدريد على الأب أرتيجاس Artigas ومعه صديقا الدّراسة استيبانث كالدرون Estébanez Calderón ودون ليون إي صول Don Léon y Sol . ولمزيد من إتقان العربيّة قيل : إنّه رحل إلى شمال إفريقيّة .

أقام في مالقة مدّة توطّدت فيها العلاقة بينه وبين كالدرون الكاتب الرّومنطيقي المعجب بالأدب العربي بما فيه من أساطير ورومانطيقيّة . وقد تأثر كلّ منهما بالآخر، فحدّ كالدرون من صرامة المنهجيّة العلميّة عند جايانجوس . وحدّ هذا الأخير من جنوح الخيال بكالدرون .

كان جايانجوس يتقن مع العربيّة عدّة لغات من أهمّها الإنجليزيّة . وبسبب ذلك عيّن مترجما بوزارة الخارجيّة سنة 1249 / 1833 ، ثمّ أصبح أمينا عامّا للمخطوطات العربيّة في المكتبة الملكيّة . وقام بدراسة عدّة مخطوطات، ولخّص عدّة وثائق تتعلّق بتاريخ إسبانيا وجغرافيّتها .

سمّي حوالي سنة 1257 / 1841 نائب قنصل إسبانيا بتونس . وهو منصب قبله أوّل الأمر ثمّ رفضه . وكان في نيّته شراء مخطوطات من تونس ، ومزيد التعمّق في دراسة اللّغة العربيّة بها ، والبحث عن بقايا العادات التي سادت إبان احتلال الإسبان هذه البلاد . وكان ينوي أيضا تأليف كتاب حول الأحداث في إفريقيّة زمن حكم كارلوس الخامس وفيليب الثاني .

سافر إلى لندن ، وأقام بها مدّة كُلّف فيها بفهرسة المخطوطات والوثائق الإسبانيّة بالمتحف البريطاني وأسهم في تحرير بعض دوائر المعارف والمجلاّت .

عاد إلى مدريد سنة 1259 / 1843 فعيّن أستاذا للّغة العربيّة في جامعة مدريد ، وواصل جمع الكتب والنّقود العربيّة ، واشترى في رحلته إلى شمال إفريقية عدّة مخطوطات عربيّة أضيفت إلى مجموعته التي كانت تضمّ من 300 إلى 400 مخطوط شرقيّ نفيس [4] ، اشتراها من ورثته مجمع التاريخ بعد وفاته .

---

[4] من هذه المخطوطات نسخة نفيسة من رحلة ابن بطوطة اهتمّ بها سرافين فنخول Serafin Fanjul وفدريكو اربوس Féderico Arabos فقاما بتحقيقها وترجمتها إلى الإسبانيّة .

عيّن عضوا في أكاديميّة التاريخ سنة 1260 / 1844 ثمّ صار مديرًا للتعليم العام ، وعضوا في مجلس الشيوخ . وفي سنة 1264 / 1847 تحصّل على إجازة بأربعة أشهر لدراسة المخطوطات في الأسكريال ممّا زاد في تعلّقه بكنوز الحضارة العربيّة الأندلسيّة فقام بإنشاء مدرسة للأبحاث الأندلسيّة أعدّ تلاميذه فيها لخدمة الحضارة العربيّة بشبه الجزيرة الإيبيريّة وفي مقدّمة هؤلاء التلاميذ كُوديرًا .

***بحوثه :**

إنّ إنتاج جايانجوس الغزير يضعه في مركز الصّدارة بين المستشرقين الأروبيّين بصفة عامّة ، والمستشرقين الإسبان بصفة خاصّة . ويمكن أن نصنّف إنتاجه على النحو التالي :

- ما يتعلّق بالمخطوطات :

. درس عدّة مخطوطات ولخّص عدّة وثائق تتعلّق بتاريخ إسبانيا وجغرافيتها ، توجد بالمكتبة الملكيّة بمدريد .

. درس مجموعة مخطوطات عربيّة في مكتبة مجمع التاريخ الإسباني .

. فهرس المخطوطات الإسبانيّة في المتحف البريطاني (لندن 1314/ 1896) .

- ما يتعلّق بالتراث الأندلسي :

. تاريخ الممالك الإسلاميّة بإسبانيا (بالإنجليزيّة في مجلّدين ، لندن 1256 / 1840 – مدريد 1259 / 1843) . ترجم فيه قسما كبيرًا من النّفح للمقري ، لأنّه كان يرى أنّه من المبكّر كتابة تاريخ الأندلس في عهده ، ففضّل التّرجمة مع تعليقات وشروح مستفيضة . وهذا العمل يدلّ على أنّ جايانجوس قد فهم الفكر الإسلامي بالأندلس ، بعد اطّلاعه على منجزات الحضارة الإسلاميّة بربوعها .

. وصف قصر الحمراء وبيان آثاره وتفسير كتاباته الحجريّة (لندن8–1259 / 1843) .

. تاريخ ملوك غرناطة ووصفها (بالإسبانيّة ، باريس 1258 / 1842) .

. اللّغة والأدب عند الموريسكيّين (بالإنجليزيّة ، لندن 1255 / 1839) .

. بحث عن صحّة الصحيفة الإخباريّة للرّازي في صفة الأندلس مع ترجمة لها إلى الإسبانيّة (مدريد 9–1267/2–1850) .

. نشر " تاريخ فتح الأندلس" لابن القوطيّة (مدريد 1285/ 1868) بالاشتراك مع سابيدرا . ثمّ قام ريبيرا بترجمتها إلى الإسبانيّة مع مختارات من كتاب "الإمامة" المنسوب إلى ابن قتيبة (مدريد 1926/1345) .

. نشر رسالة في فضل الأندلس وذكر علمائها مقتبسة من النّفح للمقرى . مع ترجمة إلى الإنجليزيّة .

. نشر "رحلة الغزّال" سفير ملك المغرب إلى كارلوس الثّالث . وقد قام بهذه الرحلة سنة 1183/ 1769 إلى غرناطة . واعتمد جايانجوس في نشرها وترجمتها على مخطوطة المتحف البريطاني .

. وبالنّسبة إلى التّراث العربي عامّة : ترجم جايانجوس كتاب "كليلة ودمنة" ، ونشر "مقامات الحريري" مع شروح وتعليقات باللّغة الإنجليزيّة (لندن 1314 / 1896) .

– **ما يتعلّق بالتاريخ والأدب الإسبانيين** : اهتمّ جايانجوس بالأدب والتاريخ الإسبانيين في العصر الوسيط :

. فنشر قصيدا في مدح " محمّد " (صلعم): وهو من الشّعر الإسباني في القرن 8 /14، ترجمها فيما بعد تيكنور .

. ونشر كتابا بعنوان " كتب الفروسيّة " (مدريد 1274 / 1857) .

. وأصدر كتابا بعنوان " الكتّاب النّاثرون السّابقون للقرن 9/ 15" (بالإسبانيّة ، مدريد 1277 / 1860) .

. وزوّد الترجمة الإسبانيّة لكتاب " تاريخ الأدب الإسباني" لتكنور Tecknor بتعليقات مستفيضة .

وقام بتحقيق الكتب الإسبانيّة التالية :

. الغزو الكبير عبر البحار .

. رسائل الكاردينال سسنيروس Sisneros

. رسائل وتقارير من هرنان كورتيس إلى الامبراطور شارل الخامس (باريس 1287 / 1870) .

. رسائل اليسوعيّين .

. رسائل كونت جوندومار Gondomer

. رسائل ووثائق توضّح تاريخ إنجلترا في علاقتها مع تاريخ إسبانيا خلال حكم الملك هنري الثّامن " بالإسبانيّة والإنجليزيّة " . ويقع في 7 مجلدات (لندن 97-1872-80/1287) .

. نشر – مع شروح وتعليقات – المجلّدين 13و19 من مجموعة " الذاكرة التاريخيّة الإسبانيّة " التي تصدرها الأكاديميّة الملكيّة للتاريخ في مدريد [5] .

. إنّ جايانجوس بموسوعيّة معرفته واعتدال نظرته وموضوعيّة منهجه قد مثّل بحقّ التيار الأوّل المتقبّل والمنصف للحضارة العربيّة الأندلسيّة ، وفتح الباب على مصراعيه لتحقيق التراث الأندلسي من جهة ، ودراسة أدب الموريسكيّين من جهة أخرى .

وحتّى نعطي صورة متكاملة على الاستشراق في القرن 19/13 بإسبانيا لابدّ من الترجمة لزعيم التيار الثاني وهو التيار الرّافض والمتحامل على الفترة العربيّة من تاريخ إسبانيا، وحضارتها . ونقصد المستشرق الإسباني فرانسسكو خافيير سيمونيت .

ب – غصن التحامل المقيت في ترجمة سيمونيت:

***حياته :**

ولد فرانسيسكو خافيير سيمونيت Francisco Javier Simonet بمالقة سنة1829/1245، وتوفّي بمدريد 1315 / 1897 . التحق وهو في سنّ الدّراسة بمعهد ديني ، فدرس فيه

---

[5] وقع الاعتماد في هذه الترجمة على :

- دراسات أندلسيّة، عدد 29/ 2003 ، ص 29 .
- بدوي : الموسوعة، ص 170 .
- مجلة الأندلس مج / 1963 ص.ص 445-461 مقال حول جايانجوس لمانويلا منثرث دي سيرّي Manuel Manzanares de Cirre (بالإسبانيّة) .

Gustave Dugat : Histoire des Orientalistes de L'Europe du XII au XIX siècle, précedée d'une esquisse historique des études Orientales paris 1868-70 PXLIV.

اللاّهوت والفلسفة ، دون الحصول على ما يؤهّله ليكون قسّيسا، ولكنّه خرج منه وهو يحسن اللّغة اللاّتينيّة .

غادر مالقة إلى مدريد، واتصل ببلديّه المستشرق استيبانث كالدرون Estébanez Calderon(1214/1799-1284/1867) ليستعين ويستفيد بما لكالدرون من مكانة رفيعة في الوسط الثقافي بمدريد . فكلّفه هذا الأخير بحفظ مكتبته التي كانت تحتوي على عدّة مخطوطات عربيّة . كما بدأ يتعلّم العربيّة على يدي كالدرون وجايانجوس إلى أن أتقنها سنة 1268 / 1851 .

وفي هذه السّنة أرسله كالدرون إلى مكتبة الأسكريال بعد أن تحصّل له عن إذن للاطلاع على ما يوجد فيها من مخطوطات بصفة عامّة والمخطوطات التي تتعلّق بتاريخ الأندلس بصفة خاصّة . ومنذ ذلك الحين أصبح سيمونيت يتردّد كثيرا على هذه المكتبة للاطلاع على كنوزها .

ورغم حصوله على الإجازة في القانون سنة 1272 / 1855 ، فإنّه لم يحاول استغلالها في وظيفة أو مهنة معيّنة ، واختار أن يكون أستاذا للعربيّة في المعهد العلمي أتنيو سَيانتيفكوAteneo Cientifico بمدريد . وقام بداية من سنة 1274/ 1857 بإلقاء محاضرات حول تاريخ الأدب الأندلسي مع استمراره في تدريس اللّغة العربيّة . وفي سنة 1276 / 1859 درّس اللّهجة العاميّة المغربيّة ببعض مدارس التّجارة بمدريد.

ورغم عمله المتواصل فإنه وجد الوقت للحصول على الإجازة في الفلسفة والأدب سنة 1277/ 1860 . ولمّا أعلن عن شغور في كرسيّ اللّغة العربيّة بغرناطة ، ترشّح له وحصل عليه . وبعد سنتين أي في سنة 1279 / 1862 أصبح عضوا في أكاديميّة التاريخ.

كان لسيمونيت علاقة مع معاصره المستشرق الهولندي دوزي عن طريق أستاذه استيبانث ، وتبادل الرّجلان رسائل تدور حول اللّغة العربيّة في الوقت الذي كان فيه سيمونيت يعمل في كتابه " معجم الكلمات المستعربة " ، ودوزي يهيّئ كتابه " تكملة المعاجم العربيّة " . كما تناولت الرّسائل بينهما مواضيع تتعلّق بجغرافية شبه الجزيرة الإيبيريّة .

***إنتاجه:**

إنتاج سيمونيت متنوّع ويمكن أن نوزّعه على النّحو التّالي :

– **الإبداع** : نظم سيمونيت الشّعر الرّومنطيقي وكتب مسرحيّة واحدة لم تمثّل ، وجرّب حظّه في القصّة فكتب " الحكايات التّاريخيّة العربيّة " وكان لها نصيب من النّجاح ، وهذه الحكايات هي :

. المنصور بن أبي عامر، وهي أقربها إلى التّاريخ .

. مَرين : وموضوعها المستعربون تحت الحكم الإسلامي .

. فتنة عمر بن حفصون في القرن 9/3 .

. مدينة الزّهراء : وفيها وصف لقصور الزّهراء وحدائقها .

. قمر : وهي قصّة من خيال سيمونيت ، رغم ما يوجد فيها من وصف لمدينة غرناطة وبساتينها وقصورها. وذيّل سيمونيت هذه الحكايات بذكر مصادره التي استقى منها المعلومات الواردة فيها .

– **مقالات :**

. الحمراء والأسكريال .

. الطابع المميّز للشعر العربي سنة 1276 / 1859 .

. القصور المشهورة عند العرب : دراسة تاريخيّة .

. ذكريات تاريخيّة عن طليطلة سنة 1277 / 1860 .

. بيانات عن سيرة عمر بن حفصون سنة 1277 / 1860 .

. أصول الكلمات لإزيدور الإشبيلي ومعجم ما استعجم للبكري .

. عدّة مقالات تحت عنوان : " دراسات تاريخيّة ولغويّة للأدب العربي المستعرب " نشرها في مجلّة جامعة مدريد ، درس فيها مؤلفات كتبها نصارى باللّغة العربيّة ، وانتهى إلى أنّ كثيرًا من المؤلّفين والعلماء الأندلسيّين هم من المستعربة ، وذلك للتقليل من دور العرب المسلمين في الحضارة الأندلسيّة .

. كتب مقالا حول كتاب ربيع بن زيد أسقف إشبيلية وعنوانه " ثبت القدّيسين الإسبان المستعربين . وقد ضاع نصّه العربي وبقي نصّه اللاّتيني بترجمة جراردو دي كريمونا .

- كتب مقالا حول مخطوط عنوانه " جمع القوانين المقدسة ". كتب المخطوط أو نسخه قسّ يدعى فيسنت Vicente وهو مكتوب بلغة عربيّة جيّدة. وهدف المؤلّف منه هو تذكير النّصارى في الأندلس بديانتهم المسيحيّة بعد أن صاروا لا يعرفون إلاّ اللّغة العربيّة .

. نشر مقالا في مجلّة " مدينة الله " عنوانه : " تأثير العنصر الوطني المحلّي في الحضارة العربيّة الإسبانيّة ، وفيه زعم أنّ تفوّق الحضارة العربيّة في إسبانيا إنّما يرجع الفضل فيه إلى العنصر المحلّي الإسباني المسيحي الذي كان يعيش في شبه الجزيرة الإيبيريّة قبل الفتح الإسلامي .

. نشر بالاشتراك مع لرخندي : " منتخبات عربيّة إسبانيّة مع قواعد اللّغة العربيّة الفصحى (غرناطة 1300 / 1882) .

- كتـــب :

. تاريخ المستعربين في إسبانيا (مدريد 1315 / 1897) ، وفيه أهمّ أفكاره التي جانب فيها الموضوعيّة ، ومال مع هوى عقيدته الكاثوليكيّة المتشدّدة ، فهاجم الإسلام بعنف لا يخلو من حقد ، وانكر منجزات الحضارة الأندلسيّة إنكارًا لا يخلو من تعصّب .

. وضع معجما لغويا ، وموضوعه الكلمات الإيبيريّة واللاّتينيّة التي كانت متداولة بين المستعربين الأندلسيّين . وغايته منه هو إثبات أنّ المسلمين في الأندلس كانوا متأثرين بالحضارة اللاّتينيّة أكثر من كونهم مؤثّرين فيها (مدريد 1306/ 1888) .

. الأدب العربي : رسالة تحصّل بها على الدّكتوراه(غرناطة 1867/1284) .

- نَشْر النّصوص :

. حقّق كتاب " معيار الاختيار " لابن الخطيب ، وقام بترجمة الجزء الخاص بمدن الأندلس .

. نشر نصوصا تتعلّق بمملكة غرناطة ، نقلها عن ابن بطوطة وابن حيّان والمقّري .

. نشر نصّين في وصف غرناطة : الأوّل للويس دي مارمول والثاني للرحّالة الإيطالي أندريا نفجروAndrea Navagero كما نشر وصفا لمالقة لمؤلّفين نصارى.

***أفكاره :**

تتوزّع أفكار سيمونيت من خلال آثاره السّابقة على قسمين متكاملين يبوّئانه زعامة الاتجاه في الاستشراق الإسباني المجحف في حقّ العرب وحضارتهم :

– **قسم غلب عليه التحيّز** : وفيه ينكر أيّ دور حضاري أو فضل علمي للعرب عامّة، وفي تاريخ إسبانيا أثناء حكمهم لها بصفة خاصّة . ويذهب به التحيّز إلى القول " إنّ أهمّ ما قدّمته الحضارة العربيّة الإسلاميّة من علوم وفلسفة كان في عهد الدّولة العبّاسيّة وقد تمّ على يد رهبان نصارى تولّوا نقل علوم الإغريق وفلسفتهم إلى اللّغة العربيّة.

وإذا كان العرب في الشرق لم يسهموا بأيّ دور حضاري ذي قيمة في البلاد التي فتحوها بحكم كون سكان هذه البلدان من النّصارى متفوّقين حضاريا عليهم ، فمن باب أولى وأحرى أن يكونوا عاجزين أن يقدّموا شيئا لنصارى بلاد الغرب ورثة الحضارة الرّومانيّة العظيمة" [6] . وفي نظره إنّ ما وصلت إليه الحضارة الأندلسيّة من تفوّق في العلوم الرّياضيّة والفلكيّة والطبّية والفلسفيّة التي كان يكرهها عامّة الشعب المسلم وكثير من حكامه ، إنما يرجع إلى المستعربين الأندلسيّين . ونحن ، لئن كنّا لا ننكر دور هؤلاء المستعربين في هذه الميادين العلميّة وغيرها، فإنّه يصعب قبول تحيّز

---

[6] مصطفى الشكعة : المغرب والأندلس . طبعة القاهرة 1987/1407، ص 92 .

سيمونيت ، ويكفي أن نحصي عدد العلماء من الصّنفين المسلمين والمستعربين ليتبيّن لنا بكلّ وضوح مبالغة سيمونيت البعيدة كلّ البعد عن الواقع التّاريخي.

ومن أمثلة تحيّز سيمونيت تقليله من قيمة العالم الجغرافي الكبير أبي عبد الله البكري (423/ 1031 – 487/ 1094) ، فقد اعتبر كتابه " معجم ما استعجم " نقلا لما جاء في كتاب إيزيدور الإشبيلي "إيتيمولوجياس Etimologias "أي أصول الكلمات"، وشهد في هذه المرّة شاهد من أهلها ، فقد أنكر عليه هذا الرّأي معاصراه دوزي وجنثالث، وبالعكس نوّه الإثنان بكتاب البكري باعتباره من ابتكارات الحضارة الأندلسيّة، خاصّة وأنّ كتاب إيزيدور لم يعرّب حتّى يستفيد منه البكري .

ويتجنّى سيمونيت على عالم آخر هو عريب بن سعيد لصالح المستعرب ربيع بن زيد فينسب إلى هذا الأخير بعض كتب الأوّل ، كما يعتبر هذا المستعرب النصراني السبب الرّئيسي لازدهار الحركة العلميّة في أيّام الخليفة عبد الرّحمان النّاصر .

– **قسم غلب عليه التحامل** : وفيه يندّد سيمونيت بفترة الحكم الإسلامي بالأندلس ويراها نموذجا لسياسة الاضطهاد التي انتهجها – حسب زعمه – حكام الأندلس سواء في بداية الفتح أو بعده ، فنراه ينسب إلى عبد الرحمان الدّاخل وثيقة لا أساس لها من الصحّة[7].

ولئن لم يذكر سيمونيت المعاهدات التي عقدها زعماء العرب مع سكّان المدن المفتوحة ، وفيها كثير من مظاهر التّسامح ، فإنّه يؤكّد أنّ هذه المعاهدات بقيت حبرا على ورق دون تطبيق ، وأنّ العرب لم يكونوا سوى غاصبين مستبدّين . وسيمونيت في تحامله هذا يغمض عينيه عن الأمثلة التي تناقض أقواله ، فهناك في بداية الفتح الإسلامي للأندلس من النّصارى من هو أغنى من زعماء العرب وقادتهم ، فها هو أرطباس النّصراني يتنازل بطيب خاطر لميمون العابد والصّميل بن حاتم عن بعض أراضيه. أمّا عبد الرّحمان النّاصر فكان بعض سفرائه من النّصارى وبعض وزرائه وأطبّائه من اليهود . فالمهارة الدّيبلوماسيّة والمقدرة العلميّة هما المقياس لإسناد المناصب العليا في الدّولة بقطع النّظر عن الانتماء الدّيني والعرقي.

---

[7] مناهج المستشرقين . طبعة المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم 1985/1406 جII ص 298 .

ويتحامل سيمونيت في دراسته على الموريسكيّين عندما دافع عن الكاردينال المتعصّب خيمينيس دي ثسنيروس (1436/840 – 1517/923)، وهو الذي ندّد جُلُّ المؤرخين الإسبان وغيرهم بأعماله في محاكم التّفتيش، وإرغام المسلمين الباقين في غرناطة على التنصّر، ثمّ قيامه بجريمة في حق الإنسانيّة عندما أحرق المخطوطات العربيّة في السّاحات العموميّة . ولئن أكّد المؤرخون أنّ هذا الكاردينال أحرق حوالي مليوني مخطوط عربي [8]، فإنّ سيمونيت جعلها خمسة آلاف فقط يتعلّق جميعها بالشريعة الإسلاميّة ، ويبرّر حرقها بوجوب إبادة بذور العدوى حيثما وجدت .

ورغم ذاك التحيّز وهذا التحامل فإنّ سيمونيت – وحتى نُعطي لكلّ ذي حقّ حقه – أورد في بحوثه أنّ النّصارى تمتّعوا في ظلّ الحكم الإسلامي بحرّيّتهم الدّينيّة والقضائيّة والاجتماعيّة ، فقضاياهم تفصل حسب القانون القوطي القديم ، ويُدير أمور جماعتهم في المدن والأرياف رجال من نصارى عجم الأندلس يعرفون بالقمامسة (مفردها قومس) . وهو لقب كان مقصورًا على القوط ، فلما أزاحهم العرب صار القمامسة من أهل البلاد ، فيكون الفتح قد ردّ إليهم اعتبارهم [9] .

وذكر سيمونيت أنّ المسلمين احترموا الكنائس في الأراضي المفتوحة . ولئن فرّ بعض القساوسة أمام الجيش الفاتح ، فإنّهم رجعوا إلى كنائسهم لمّا رأوا أنّ المسلمين لا يعتدون على أماكن العبادة النصرانيّة واليهوديّة [10] . بل إنّ كنيسة طليطلة ازدهر شأنها بعد الفتح الإسلامي مع قسّ جليل اسمه شيشلبا كان حريصا على سلامة عقيدة أتباعه من الكاثوليكيّة .

ولسبب ما قدّم سيمونيت صورة إيجابيّة لعهد ملوك الطّوائف ، فهو يرى أنّ المستعربين نالوا حظّا وافرا في بلاطاتهم ، وذلك لكفَاءتهم وقوّة شخصيّتهم. وهو في

---

[8] لم يكتف هذا الكاردينال بجريمة حرق المخطوطات العربيّة بل استطاع إقناع فرديناند الكاثوليكي بتجهيز حملة صليبيّة متأخرة قادها الكاردينال نفسه ووجهت ضدّ الجزائر وتونس سنة 1511/917 ، انتهت بالفشل الذّريع .

[9] الشكعة : المغرب والأندلس، ص 65 .

[10] المرجع السّابق، ص 67 .

هذا الرّأي يتّفق في التّنويه بعصـــر ملوك الطّوائف مـــع دوزي وإن كانا يختلفان في أسباب ذلك[11].

3- **بقيّة المستشرقين في القرن 19/13**

لقد حجب زعيما الاتّجاهين المجحف والمنصف ، بقوّة شخصيّتهما ، عن الأنظار غصونا كثيرة من شجرة الاستشراق الإسباني . وحتّى نقوم بمسح شامل لهذا القرن 13 /19 ، فإنّنا نضع هذا الجدول التالي مرتّبا حسب الحرف الأوّل اللاّتيني للقب المستشرق وذلك لأسباب منهجيّة :

الجدول

اللّقب والإسم	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها	التتلمذ والتخصّص	المصدر
Alkantara (Emilio Lafuente y) إيميليو لافونتي إي القنطرة	1825/1241 بأرشدونة (مالقة)	1868/1285 بأرشدونة (مالقة)	تلميذ جايانجوس وصديق كالدرون مؤرّخ ومهتمّ بالمخطوطات وفهرستها.	العقيقي : ص851 بدوي : ص 510 الزركلي 2/ 115
Boigues (F.Pons) بونس بويجس	1862/1279 بإقليم بلنسيّة	1899/1317	من أتباع كرديرا وريبيرا وتلميذ لهما – مؤرّخ للدّراسات العربيّة والكتابات المستعربة بطليطلة – مهتمّ بعلماء النبات والأطبّاء الأندلسيّين [12] .	بدوي: ص 145 العقيقي: ص 585 مجلّة كلّية الأداب بالرّباط 3-4/ 1978 ص 622،61
Carlayel (Tomas) توماس كارلايل	1795/1210	1881/1299	قال : من العار على الإنسان المتمدّن أن يصغي إلى الأقوال التي تدّعي أنّ الإسلام كذب، وأنّ محمّدا خادع ومزوّر.	
Calderon (Seferan Estébanez) سفرن استبانث	1799/1214 بمالقة	1876/1293 بمدريد	تلميذ جايانجوس وصديق لسيمونيت أديب معجب بالتراث الأندلسي الأدبي ومتأثّر به .	بدوي: ص 21

[11] العقيقي : المستشرقون ص 584 ، بدوي : الموسوعة، ص.ص 360-365 .
[12] يعتبر من تيّار المنصفين للحضارة العربيّة .

				كالدرون
العقيقي: ص 582	مهتمّ بالموسيقى الإسبانيّة .	1880/1298	1817/1233	Fuertes (M. Soriano) سوريانو فويرتيس
	قال يوم 23 يناير 1853 : " أيها السّادة لقد قدم مؤرّخونا عبر القرون هذا الشعب (الأندلسي) على أنّه شعب همجي وفظّ وغير متحضّر ، ناظرين إليه من وجهة نظر دينيّة بحتة. وهي فكرة تغفرها الغيرة الدّينيّة التي أوحت بها والتي تأصّلت في شعبنا على مدار السّنين إلى أن جاء بعض المستشرقين الذين ينتمون إلى هذه الكنيسة فاكتشفوا كنوز الأدب العربي التي كانت توقد مجهولة فيما بيننا " [13] .			La feunte (Modesoto) مودستو لافونتي
بدوي : ص 514	مهتمّ بالعربيّة الفصحى والدّارجة المغربيّة للقيام بمهمّته التّبشيريّة.	1869/1286	1836/1252 في إقليم سبستيان	Lerchundi (El padré José) البادري خوسي لرتشندي
بدوي : ص599 العقيقي: ص 583	مختصّ في النّحو العربي ومهتمّ بالمؤرّخين الأندلسيين.	1882/1300	1825/1241 في مقاطعة بطليوس	Nieto(José Morino) خوسي مورينو نياتو.
	ملفّق للأخبار، مشوّه للإسلام مسيء لرجاله .			Pacece(Izidore) إيزيدور الباجي
بدوي: ص 516 العقيقي: ص 582	من تلاميذ جايانجوس، شاعر وباحث مهتمّ بتاريخ اليهود في الأندلس، والآثار العربيّة بها.	1878/1296 في إشبيلية	1818/1233 في باثينا Baena	Rios (José Amador de los) خوسي أمادور دي لوس ريوس

[13] جمال عبد الرحمان: ص 23 .

Robles (Franscisco Guillen) فرنسيسكو جيان روبلس			تلميذ سيمونيت مهتمّ بالأدب الألخميادو ومتعاطف مع الموريسكيين ، مفهرس للمخطوطات.	بدوي : ص 283
Valera (Juan y) خوان إي باليرا	1824/1240	1905/1323	– وزير وأديب، قصّاص وشاعر ، مهتمّ بالشّعر الأندلسي .	العقيقي: ص 586
Yanguas (Leopoldo Eguilaz y) ليوبولد أجيلاث إي ينجاس	1829/1245	؟	متأثر بسيمونيت في الميل إلى الحطّ من دور العرب الحضاري في الأندلس ، مهتم بالشعر والتّاريخ .	بدوي: ص 14-15 العقيقي: ص 583

4- تراجم لزعماء الاستشراق المخضرمين (ما بين القرن 19/13 و 20/14) :

لئن برز الاستشراق الإسباني بتياراته المتناقضة ومواضيعه القديمة والجديدة في النّصف الأوّل من القرن 19/13، فإنّ النّصف الثّاني منه ستزهر فيه أغصان عديدة تعطي ثمرتها في هذا القرن ويستمرّ عطاؤها في النّصف الأوّل من القرن 20/14 . وهذه الغصون هي غصون المستشرقين المخضرمين ما بين القرنين 19/13، و 20/14 . وعددهم أكبر بكثير من غصون القرن 19/13، وزعيم الطائفة والجماعة عن استحقاق وجدارة هو المستشرق فرانسيسكو كوديرا إي زيدين : فمن هو كوديرا ؟

أ-غصن الياسمين في ترجمة فرانسيسكو كوديرًا إي زيدين :

*** حياته :**

كان المستشرق الإسباني كوديرا أبرز طلبة جايانجوس ، وهو الذي أعطى الدّراسات الاستشراقيّة في إسبانيا خلال النصف الثاني من القرن 19/13 وبداية القرن 20/14 دفعا جديدا. وبذلك يعتبر غرّة بيضاء في جبين الاستشراق الإسباني ، وغصنا مثمرًا في شجرته الوافرة الظّلال .

ولد كوديرا في سنة 1836/1252 وتوفّي سنة 1917/1336 في فونثFonz بمقاطعة أرغون، تعلّم اللاّتينيّة والعبريّة والعربيّة . وزاد تعلّقه بهذه اللّغة الأخيرة عندما سافر إلى شمال إفريقيا . واغتنم فرصة وجوده في العدوة الإفريقيّة للحصول على

مخطوطات شرقيّة ونقود عربيّة وإسبانيّة . وبعد رجوعه من هذه الرّحلة خلف أستاذه جايانجوس على كرسي العربيّة في جامعة مدريد . أصبح كوديرا سنة 1328 / 1910 عضوا في مجمع التّاريخ . وكان عضوا في الجمعيّة الآسيويّة الباريسيّة ، وفي الأكاديميّة الإسبانيّة[14] .

جمع كوديرا في حياته عددا لا يستهان به من المخطوطات تتعلّق بالتّاريخ الأندلسي، كما اقتنى عددا كبيرًا من النّقود العربيّة الأندلسيّة والإسبانيّة وصفها في كتاب له نفيس . كما كان يمتلك مجموعة من الجذاذات التي أعدّها المستشرق الإيطالي ليون كيْتاني L.Caetani لعدد من العلماء المسلمين وآبائهم في الأندلس .

أجلّ عمل قام به كوديرا هو تأسيسه لمدرسة فكريّة تراثيّة مع طلبته : وهي مدرسة قامت لتزيل نهائيا من العقول كلّ مخلّفات الرّومانسيّة الخياليّة في الدّراسات الاستشراقيّة الإسبانيّة الحافلة بمعلومات مزيّفة وتعميمات ضبابيّة كثيرة حول تاريخ الأندلس وحضارتها، ولترسي منهجا علميّا في البحث بعيدا كلّ البعد عن الارتجال الذي اتسمت به بحوث القرن 18/12 مع كوندي وغيره . إنّ الاستشراق مع كوديرا أصبح علما في المدرسة الإسبانيّة بما في كلمة علم من تخصّص ودقّة وموضوعيّة ونزاهة[15] .

ولئن لم ير كوديرا الدّخول في أيّ جدل فكري قد يضيع فيه وقتا ثمينا دون جدوى في نظره ، فإنّ مدرسته بدأت بنقد كتب فاوستينو دي بوربون حول تاريخ الأندلس بشكل موضوعي ، وتَبْيين ما وقعت فيه من أخطاء قد تكون متعمّدة لتشويه هذا التّاريخ بقطع النّظر عن المعلومات الجغرافيّة القيمة التي نجدها في مؤلّفات دي بوربون ونوّه بها كوديرًا .

إنّ مدرسة كوديرا اقتصرت في نظر بعضهم [16] على جمع معلومات تاريخيّة دون أن تفسّر تطوّر الأحداث، لكن يكفيها فخرًا ما قامت به في مجال التّراث . لقد رأى مؤسسها بثاقب فكره أنّ خدمة التّراث الأندلسي : أدبا وفنّا ، علما وتاريخا تبدأ

---

[14] بدوي : ص 480 .
[15] جمال عبد الرّحمان: ص 20 .
[16] المرجع السّابق .

بتحقيقه وترجمته ، فاتّجه نظره إلى المخطوطات العربيّة في الأسكريال وفي أديرة مختلفة بأنحاء إسبانيا ، وقرّر وضع خطة لنشر مائة مخطوط من أمّهات التّراث الأندلسي وأغلبها ممّا له صلة قويّة بتاريخ الأندلس الثّقافي [17] . بدأ كوديرا مشروعه عام 1300/ 1882 ، ولكنّه توقف سنة 1313 / 1895 بسبب الحرب الإسبانيّة في كوبا ، ومع ذلك فقد أنجز ما يمكن أن يعتبر أجلّ عمل للاستشراق الإسباني في أواخر القرن 13/ 19 : لقد استعان كوديرا في هذه المهمّة الصّعبة بطلبته وتجرّأ – بمساعدتهم – على صنع الحروف العربيّة وتصفيفها وطبع الكتب التراثيّة المختارة والمحقّقة ، في مطبعة أسّسها بمنزله[18] ، وكان يدفع لهم أجورهم من مرتّبه المتواضع . وبذلك استطاع نشر عشرة مجلّدات من سلسلة المكتبة العربيّة الإسبانيّة وهي :

- الصّلة لابن بشكوال (ت 578/ 1182) : في مجلّدين الأوّل والثاني (مدريد 1-1300/3-1882).
- بغية الملتمس للضبي (ت 1203/599) في المجلد الثالث (مدريد 1885/1303) وقد قام كوديرا بترجمة هذا المجلّد بالاشترك مع تلميذه ريبيرا .
- معجم تلاميذ أبي علي الصّدفي لابن الأبّار (ت 1260/658) في المجلّد الرّابع (مدريد 1886/1304) .
- تكملة الصّلة لابن الأبّار في المجلّدين الخامس والسّادس (مدريد 1887/1305 – 1889/1307) ثمّ نشر ألاركون وجونثالث قطعة ثانية من التكملة (مدريد 1334/ 1915) ، كما قام ألفرد بل ، ومحمّد بن شنب بنشر قطعة ثالثة (الجزائر 1339/ 1920) .
- تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت 1013/403) في مجلّدين السّابع والثامن (مدريد 1309/ 1891) .

---

[17] د. الغديري : مقاله حول مدرسة كوديرا : دراسات أندلسيّة، 2003/29 ص.ص 30-31 .
[18] المرجع السّابق، ص 31 .

- فهرسة ما رواه عن شيوخه أبو بكر الإشبيلي الأموي في المجلّدين التاسع والعاشر (مدريد 1313/ 1895) .

وقام كوديرا بأعباء ترجمة هذه الكتب إلى الإسبانيّة . ولئن وُجدت أخطاء في طبعات كوديرا وبعض السّقط والنّقص في النّصّ فيعزى ذلك إلى صعوبة العمل وقلّة الإمكانيّات .

***إنتاجه :**

ومع هذا العمل الجبّار لهذا المستشرق عديد المصنّفات يمكن أن نرتّبها كالتّالي :

- في مجال المخطوطات : فهرسة وتحقيقا، نشرا وترجمة :

. المخطوطات العربيّة بالأسكريال 1898/1316 .

. الكتب العربيّة التي اقتناها مجمع التّاريخ 1911/1330 .

. مخطوط عربي إسباني بتونس 1911/1330 .

. وثيقة عربيّة عن مليلة 1332 / 1913 .

. المخطوط رقم 5341 في مكتبة مدريد الوطنيّة 1332 / 1913 .

. الكتب القديمة والحديثة بالمغرب 1905/1324 .

. الكتابات العربيّة في المدن الإسبانيّة .

. ترجمة الوثائق العربيّة 1913/1332 .

. حجر المحكّ في الفتاوي .

. ملحق لكشف الظنون 1275/ 1858 .

- دراسات تتعلّق بالنقود العربيّة والإسبانيّة .

. النقود العربيّة (بالإسبانيّة 2-1331/3-1912: أكمل هذا البحث بريتو فيفس Prieto vives)

. النّقود العربيّة في أراغون 1332/ 1913 .

. الدّنانير الذّهبيّة العربيّة في إيبيريا 1913/1332 .

– **بحوث تاريخيّة .**

. التّاريخ الإسلامي لنرّبونة وجرندة وبرشلونة .

. اضمحلال دولة المرابطين وسقوطها . وفيه يردّ على دوزي المتعصّب ضدّهم .

. دراسات نقديّة حول التاريخ الأندلسي .

. فاتح سردينيّة 1910/1329 .

. حدود الفتح الأموي في الأندلس 1325 / 1906 .

. تقرير عن مهمّة تاريخيّة في الجزائر وتونس ألقاه أمام الأكاديميّة الملكيّة للتاريخ (مدريد 1892/1310) .

. دراسات عربيّة 1934/ 1916 .

. دائرة المعارف العربيّة والمؤلّفون المصريّون 1329/ 1910 .

. علم الفلك في التاريخ العربي 1910/1329 .

. الإرث في المذهب المالكي 1914/1333 [19] .

إنّ هذا العمل الجبّار لا يمكن أن يقوم به إلاّ من كان معجبا ومحبّا للتّراث العربي الإسلامي بصفة عامة والأندلسي منه بصفة خاصّة ، وقد فسّر بعضهم هذا الحبّ والإعجاب انتماء كوديرا لأسرة تنحدر من أصل عربي شأنه في ذلك شأن كثير من الأسر الإسبانيّة . وقد عرّب اسم كوديرًا فأصبح الشيخ فرنسيسكه قدارة زيدين . وكان الأمير شكيب أرسلان ينطق إسمه بصيغة عربيّة " قُدَيْرَه " .

وقد انتقل حبّ كوديرا للتّراث العربي إلى طلبته فسمّوا أنفسهم ببني كوديرًا، وأصبح شعارهم جميعهم قولة أستاذهم الكبير المعترف بفضل العرب على أروبا هو "من الخطإ العمل على أوربة إسبانيا ، بل من الواجب تعريب أروبا ، لهذا يجب أن تستردّ إسبانيا دورها الأندلسي القديم في هذا التّعريب " .

ورغم هذا الحبّ والإعجاب ، ورغم هذا الشّعار فإنّ زعيمي الاستشراق الإسباني خلال القرن 19/13 جايانجوس وتلميذه كوديرا كانا من المساهمين في الجمعيّة الإسبانيّة

---

[19] بدوي: ص 480، غـومث : مقال حـول كـوديرا فـي مجلـة الأندلـس مج15 / 1950 ص.ص 263-274 (بالإسبانيّة) .

لاكتشاف إفريقيا وفي تأسيس جمعيّة المتأفرقين الاستعماريّة ، وهما جمعيتان لا يخفى الهدف الاستعماري لأعمالهما ومشاريعهما ، ألم نؤكّد في بداية هذا الفصل أنّ الاستشراق ارتبط عضويا بالمدّ الاستعماري في أروبا، وأنّ إسبانيا هي جزء من هذا المحيط ؟

لئن مثّل كوديرا بجدّيّة بحوثه وموضوعيّة منهجه ونزاهة طرقه ووضوح أهدافه حدّا فاصلا بين استشراقين في إسبانيا ، فإنّ كثيرا من قيم مدرسته العلميّة والأخلاقيّة ستستمرّ مع طلبته وأبرزهم ريبيرا وبلاثيوس وبالنثيا وثلاثتهم من المخضرمين ما بين القرن 19/13-20/14. ولا يمكن أن نعرف الاستشراق الإسباني في هذه الفترة إلاّ بمعرفة أعمال هؤلاء الرّوّاد الثلاثة .

ب – غصن الآس وأزهاره النّضيرة في ترجمة المستشرق خوليان ريبيرا

***حياته :**

صديق المستشرق الكبير كوديرا وتلميذه وأقربهم إليه، ولد سنة 1275 / 1858 في كركخنتهCarcagente من مقاطعة بلنسيّة ، وتوفّي في أليكانت 1343 / 1924 . يعتبر من أبرز تلاميذ مدرسة " بني كوديرا " ، وأنشطهم في حقل المكتبة العربيّة الإسبانيّة .

درس العربيّة وأتقنها على يدي أستاذه كوديرا ، وتعلّم في مدارس الآباء الإسكُلابيين Escolapins في كركخنته، تحصل على الإجازة في الحقوق من جامعة بلنسيّة، وعلى الدّكتوراه في الفلسفة والآداب من جامعة مدريد .

نال رتبة أستاذ كرسي للّغة العربيّة في جامعة سرقسطة 1887/1305 . وأصبح أستاذا للأدب العربي وتاريخ اليهود والمسلمين وحضارتهم في جامعة مدريد من 1323/ 1905 إلى 1346 / 1927 . ترك التّدريس وتفرّغ إلى التّأليف في بلنسيّة .

أصبح عضوا في أكاديميّة اللّغة 1322/ 1904 ، وعضوا في أكاديميّة التّاريخ 1334/ 1915 .

من تلامذته ثلاثة من كبار المستشرقين الإسبان : بلاثيوس وبلنثيا وغومث .

***إنتاجه:**

يعتبر ريبيرا كأستاذه كوديرا غزير الإنتاج في مجالات عدّة من مجالات البحث الاستشراقي .

- في مجال التحقيق :

. حقّق وترجم مع كوديرًا المجلّد الثالث من المكتبة العربيّة الإسبانيّة ويتمثل في كتاب بغية الملتمس للضبّي .

. حقّق كتاب " قضاة قرطبة" للخشني .

. حقّق ديوان ابن قزمان (مدريد 1922/1341) .

. حقّق تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطيّة ، وترجمه إلى الإسبانيّة (مدريد 1333/ 1914)

وكان جايانجوس قد نشر هذا الكتاب مع سابيدرا .

- بحوث حول الموسيقى والشعر :

. موسيقى الأندلس والشعراء الجولون (تروبادور) (مدريد 1925/1344) .

. الموسيقى العربيّة وأثرها في الموسيقى الإسبانيّة (مدريد 1927/1346) .

. الموسيقى في الكنتيجاس Cantigas 1341/ 1922 .

. الملاحم الشعريّة عند المسلمين الإسبان (1334 / 1915).

. موسيقى كتاب الأناشيد للملك ألفونسو العاشر (مدريد 1341 / 1922) .

- بحوث تاريخيّة حضاريّة :

. له كتاب في جزأين يشتمل على عدّة بحوث متنوّعة (مدريد 1347/ 1928) : الشاعر ابن قزمان ، الرّدّ على دوزي ، الملاحم الأندلسيّة ، المدارس الإسلاميّة ، ابن القوطيّة وتاريخه، تاريخ الموسيقى ، تاريخ بلنسيّة العربيّة .

. وله دراسات حول أحوال العرب عند فتح الأندلس .

. التعليم عند المسلمين الإسبان (1311/ 1893) .

. المولعون بالكتب والمكتبات في إسبانيا الإسلاميّة(1896/1314).

. أصول القضاء العالي في أراغون(سرقسطة 1315 / 1897).

. أصول فلسفة رايمون لول(1317 / 1899) .

. ما هو علميّ في التاريخ(1906/1324) .

. وافته المنيّة قبل أن يتمّ كتابه حول تاريخ الثّقافة الإسلاميّة . وقد قام تلميذه بلاثيوس بإحصاء مؤلّفاته في كتاب عنوانه : أحاديث ونبذ(1347 / 1928)[20] .

***أفكاره :**

حاول ريبيرا من خلال اهتمامه بالشعر والموسيقى الكشف عن أصل الشّعر الغنائي الأروبي وربطه بالشعر العربي الأندلسي وخاصّة زجل ابن قزمان . وهو من أصحاب النظريّة القائلة : إنّ الشعر الوجداني العربي الذي ينتمي إليه ديوان ابن قزمان يقدّم الحلّ لفهم خصوصيّة تفعيلات السّجع وتقنياته في مختلف أنظمة الشعر الوجداني في العصر الوسيط بأروبا . فشعر التروبادور في القرون 11/5، و 12/6، و7/ 13 في جنوب فرنسا وشمال إيطاليا نحا منحى الشعر العربي الأندلسي وخاصّة في مجالي الموشحات والأزجال التي يرى ريبيرا أنّها من أصل لاتيني . وبالنّسبة إلى الفنّ القصصي الإسباني القديم يرى ريبيرا أنّه مستمدّ من الأخبار العربيّة وقصصهم وأساطيرهم .

ومن آرائه " أنّ العنصر السّامي لم يتدخّل إلاّ بقدر طفيف في تكوين المسلمين الإسبان ، وابتداء من الجيل الثالث والرّابع بعد استعادة إسبانيا من المسلمين لا يعود بإمكاننا أن ندعوهم ساميّين ولا شرقيّين " [21] .

---

[20] الأعلام 2/ 312، العقيقي 592 ، بدوي 276 ، دراسات أندلسيّة 2003/29 ص.ص 32-34، ص 42. الطاهر احمد مكي دراسات أندلسيّة في الأدب والتّاريخ والفلسفة، ص.ص 35-57 ، الطاهر أحمد مكي : الأدب الأندلسي من منظور إسباني ص.ص 11-29 .

[21] مناهج المستشرقين 2/ 284-297 .

ج-البساتين الطيّبة الغروس في ترجمة ميجال أسين بلاثيوس[22]

*** حياته :**

هو المستشرق الفيلسوف، ورجل الدّين المتصوّف ، والمؤمن الثّقة ، والنّاقد النّزيه، والمفكّر العميق ، الأب ميجال آسين بلاثيوس . مكانته في الاستشراق الإسباني كمكانة الإيطالي نلينو ، والمجري جولد تسيهر ، والألماني نولدكه، والفرنسي ماسنيون، والرّوسي كراتشكوفسكي، والهولندي دوزي ، تخصّص في دراسة حركة التّفاعل الثّقافي بين المسيحيّة والإسلام .

ولد بلاثيوس بسرقسطة 1288/ 1871 وتوفّي في سان سبستيان 1364 / 1944 . ينتمي إلى عائلة متوسطة الحال ، فقد كان والده من صغار التجار ، توفّي هذا الوالد وميجال في سنّ الطفولة ، فتولّت الأمّ رعاية ابنها مع الاعتناء بتجارة زوجها المتواضعة .

بدأ دراسته الابتدائيّة في مدينة سرقسطة ، في المدارس المدنيّة . أمّا دراسته الثانويّة فكانت بدايتها في مدرسة الأسكولابيوس ، وأتمّها في مدرسة اليسوعيّين بنفس المدينة ، وتفوّق في مادّتي الرّياضيات واللّغة اللاّتينيّة .

رغب بعد الحصول على الباكالوريا في الالتحاق بكلّية الهندسة لكنّ ظروفه المادّيّة لم تسمح له بذلك، خاصّة وأنّ هذه الكلّية كانت خارج سرقسطة ، فدخل كلّية الآداب بجامعة مسقط رأسه . والتحق في نفس الوقت بالمعهد المجمعي الدّيني ، وتخرّج منه قسيسا وبدأ عمله سنة 1313 / 1895 بكنيسة سان كيتانو بسرقسطة .

وخلال دراسته الجامعيّة تعرّف على المستشرق الكبير ريبيرا الذي عيّن أستاذا للعربيّة بجامعة سرقسطة ، وتوطّدت العلاقة بينهما، وكان الأستاذ في سن الثالثة

---

[22] اعتمدنا في هذه التّرجمة على المراجع التالية : العقيقي: ص.ص 595-596 ، بدوي: ص.ص 121-126 ، مجلة الأندلس: عدد 9 / 1944 ص.ص 267-319 ، مقال هنري بيريس في مجلة الدّراسات العربيّة، السّنة الخامسة عدد 21 جانـفي – فيفري 1945، الـجزائر، ص.ص 14-16 (بالفرنسيّة) . الغديـري: دراسات أندلسيّة عدد 29 (2003 ص 32) .

والثلاثين ، وكان التلميذ في سن العشرين ، وعلى يديه تعلّم اللّغة العربيّة سنة 1309/ 1891 وآدابها ، والإسلام وتشريعاته .

التحق بجامعة مدريد ونال منها شهادة الدّكتوراه سنة 1314/ 1896 ببحث حول الغزالي ، ولمّا نشرها سنة 1309/ 1901 جعل عنوانها " الغزالي : العقائد والأخلاق والزّهد" وقد كتب مقدّمتها المستشرق مننديث إي بلايو .

كان بلاثيوس يعيش في هذه الفترة من مرتّب ضئيل مقابل تدريسه في المعهد الدّيني وباعتباره كاهنا للرّاهبات في دير " القلب الأقدس" ، وضاعت عليه أوّل فرصة سنحت للحصول على كرسيّ اللّغة العربيّة في جامعة إشبيلية إذ ظفر بها المجرو كارديناس .

ويمدّ كلّ من كوديرا وريبيرا يد المساعدة لبلاثيوس في هذا الظّرف العصيب : الأوّل بتنازله عن كرسيّ اللّغات السّامية في جامعة مدريد، والثّاني بعدم التّقدّم لنيله ومزاحمة بلاثيوس فيه ، وبقي في جامعة سرقسطة ، فتقدّم بلاثيوس لهذا الكرسي وحصل عليه سنة 1321 / 1903.

انتقل بلاثيوس إلى مدريد في هذه السنة ، وعاش مع أستاذه كوديرا في بيت يقع في شارع بيثنته عدد 60 . وبقي في هذا البيت بعد انتقال كوديرًا إلى موطنه الأصلي في أراغون، إلى أن توفي ، وهذا المقرّ هو الذي سيصبح معهد الدّراسات العربيّة بمدريد الذي أسّسه بلاثيوس، وجعل له فرعا في غرناطة. وضمّ المركز والفرع مكتبتين من أكبر مكتبات إسبانيا المتخصّصة في التاريخ الإسلامي . وألقى بلاثيوس في افتتاحه بحثا بعنوان " الرّشديّة اللاّهويّة في مذهب القدّيس توما الأكويني" (نشر في الكتاب التّذكاري المهدى إلى كوديرا 1322/ 1904) .

ولمّا انتقل ريبيرا سنة 1323 /1905 إلى جامعة مدريد وأصبح أستاذا للحضارة الإسلاميّة واليهوديّة بها [23] ، التقى الأستاذ بتلميذه. وبدأ التعاون المثمر بينهما في نطاق مجلّة" الثّقافة الإسبانيّة " (1324/ 1906 – 1327/ 1909) .

---

[23] سيتحوّل هذا الكرسي سنة 1332 / 1913 إلى كرسيّ الأدب العربي الإسباني . وهو كرسيّ مازال قائما إلى اليوم .

ولمّا توفّي منندث إي بلايو سنة 1330/ 1912 عيّن بلاثيوس عضوا في الأكاديميّة الملكيّة للعلوم الأخلاقيّة والسّياسيّة خلفا لأستاذه ، وألقى بحثا بمناسبة انضمامه إلى هذا المجمع سنة 1332 / 1914 عنوانه " ابن مسرّة ومدرسته : أصول الفلسفة الإسبانيّة الإسلاميّة " أبرز فيه التّجديد الذي قام به ابن مسرّة في الفكر الفلسفي الإسلامي بمزجه بين مذهب أفلوطين والمذهب المنسوب إلى أنباذقليس، وتتبّع استمراريّة هذه المدرسة من خلال ابن العريف وابن عربي إلى أن وصلت إلى روجر بيكون وريموند لول ثمّ دانتي .

ولمّا عيّن عضوا في الأكاديميّة – الملكيّة – الإسبانيّة (المجمع اللّغوي بمدريد) سنة 1338/ 1919 ألقى بحثا سيثير ضجّة كبرى في الدّراسات الاستشراقيّة عنوانه "المصادر الإسلاميّة في الكوميديا الإلهيّة لدانتي " [24] .

ولمّا عيّن عضوا في مجمع التّاريخ بمدريد 1342/ 1923 ألقى بحثا جديرًا بالاهتمام عن كتاب الفصل في الملل والنّحل لابن حزم ، ثمّ قام بتحقيق هذا الكتاب (نُشر في خمسة أجزاء، مدريد 1371 / 1951) . خصّص الجزء الأوّل لحياة ابن حزم .

عيّن بلاثيوس رئيسا للمجمع اللّغوي 1363 / 1943 ، وانتخب عضوا في مجاميع علميّة عديدة منها المجمع العلمي العربي بدمشق .

كتب في عدّة مجلاّت علميّة بإسبانيا وخارجها ، كانت سببا في شهرته في عالم الاستشـــراق كمجلّة " الثقافة الإسبانيّة " ، ومجلّة الأندلس، ومجلّة جامعة سرقسطة ، كما ساهم بدراسات في الكتب التي صدرت وقدّمت إلى كبار المستشرقين مثل درانبور (1260/ 1844 – 1326/ 1908) وأماري (1216/1801 – 1307/1889) . وشارك بلاثيوس في مؤتمرات المستشرقين كالمؤتمر الدّولي للمستشرقين المنعقد في الجزائر 1323/ 1905 صحبة كوديرا، وفي المؤتمر الدّولي للمستشرقين المنعقد في كوبنهاجن سنة 1326/ 1908 صحبة ريبيرا .

---

[24] انظر دراسة الدّكتور عبد الرّحمان بدوي عن هذا البحث وما أثاره من مناظرات ومساجلات في كتابه: " دور العرب في تكوين الفكر الأوربّي" . بيروت 1385 / 1965 .

قضى بلاثيوس فترة الحرب الأهليّة الإسبانيّة بسان سبستيان، وتعتبر هذه المدينة من أكثر المدن هدوءا أثناء هذه الفتنة . ولمّا وضعت الحرب أوزارها عاد إلى مدريد، واستأنف نشاطه في إصدار مجلّة الأندلس، وأعاد تنظيم " مدرسة الدّراسات العربيّة " التي انضمّت في هذه الفترة إلى " المجلس الأعلى للأبحاث العلميّة " ، وعيّن بلاثيوس أوّل نائب رئيس لهذا المجلس. كما عاد إلى التّدريس في جامعة مدريد 1360 / 1941 ولـــمّا توفّي رودريغث مارين (1855/1272 – 1363 / 1943) رئيس الأكاديميّة الإسبانيّة اختير بلاثيوس خلفا له .

رتّب بلاثيوس في مكتبته الجذاذات التي كان قد جمعها ريبيرًا في تراجم علماء العرب بالأندلس فبلغت ثلاثين ألفا استنسخها الأمير كايتاني لطبعها .

المستشرق بلاثيوس هو صاحب الفرضيات التي أثبتت الأيام صحتها رغم معارضة المعارضين ومناوأة المناوئين . وهو لئن بالغ في تلمّس التأثيرات الإسلاميّة في الفكر المسيحي وأعوزه الدّليل أحيانا، فقد كانت منطلقاته منهجيّة وفرضيّاته واقعيّة بما وهبه الله من فكر ثاقب يخترق الحجب ويتنبّأ بالحقائق .

***إنتاجه:**

أغزر المستشرقين الإسبان إنتاجا خاصّة في التصوّف والفلسفة الإسلاميّة، له حوالي 250 بحثا ، ويمكن أن نرتّب هذا الإنتاج كالتّالي :

– تحقيق النّصوص ونشرها وترجمتها :

. حقّق كتاب " الحدائق " لابن السّيد البطليوسي ، ووضع له مقدّمة بالإسبانيّة وترجمه إلى نفس اللّغة 1359 / 1940 .

. نشر الأصل العربي لرسالة الجدل بين الحمار والأخ أنسلمو(مدريد 1333/ 1914).

. نشر كتاب المدخل إلى صناعة المنطق لابن طملوس . الجزء I .

. نشر كتاب المقولات وكتاب العبادة وترجمها إلى الإسبانيّة (مدريد 1916/1335) .

. نشر رسالة العقود وبحث في خصائصها العامّة (1926/1345) .

. نشر محاسن المجالس لابن العريف وترجمه إلى الفرنسيّة (باريس 1931/1350).

. نشر كتاب الفلاحة لابن العوّام وترجمه إلى الإسبانيّة ليستفيد منه الفلاحون الإسبان .
. نشر رسالة الوداع مع ترجمة إسبانيّة (مدريد 1363/ 1943) .
. نشر رسالة القول في اتصال العقل وترجمها إلى الإسبانيّة (مدريد 1362 / 1942).
. وضع فهرس المخطوطات العربيّة في غرناطة (غرناطة 1330 / 1912) .
. فهرسة المخطوطات العربيّة في دير الجبل الأقدس أبديا Abadia في إشبيليّة .

- أبحاث تتعلّق بالغزالي :

. العقيدة والأخلاق والتصوّف لدى الغزالي 1319/1901 .
. الغزالي والنّصرانيّة في جزأين ، حلّل فيهما كتاب إحياء علوم الدّين (مدريد 3-1352/ 35-1934) .
. نفسانيّة الاعتقاد بحسب الغزالي (سرقسطة 1320/ 1902) .
. نفسانيّة الوجد الصّوفي عند الغزالي وابن عربي (مدريد 1324/ 1906) .
. فقيه صقلي (أبو عبد الله المازرائي) يهاجم الغزالي (بلرمو 1328/1910) .
. تصوّف الغزالي (بالفرنسيّة ، بيروت 1333/1914) .
. ترجمة مع (شرح وتعليقات) لكتاب " الاقتصاد في الاعتقاد" للغزالي (مدريد 1348/ 1929) .
. روحانيّة الغزالي أو مذهب الغزالي في التصوّف في أربعة مجلّدات : الثلاثة الأولى ترجمة لأهمّ فصول كتاب " الإحياء" والرّابع نصوص أخرى مختارة ومترجمة : قام في هذا الكتاب بمقارنات مع مؤلّفات نصرانيّة ، ومع الكتاب المقدّس . وقد رأى بعضهم أنّ بلاثيوس بالغ في محاولة تلمّس الأشياء والنّظائر دون أدلّة مكتوبة أو منطوقة 1360/ 1941 .

- أبحاث تتعلّق بابن عربي :

. الإسلام في ثوب نصراني أو ابن عربي حياته ومذهبه . طبع سنة 1350/ 1931 في ثلاثة أقسام : أ) حياته ، ب) مذهبه، ج) نصوص مترجمة من كتب ابن عربي التّالية:

تحفة السّفرة إلى حضرة البررة ، الأمر المحكم المربوط في ما يلزم أهل طريق الله من الشّروط ، التّدبيرات الإلاهيّة في إصلاح المملكة الإنسانيّة ، كنه ما لابدّ للمزيد منه ، مواقع النّجوم ومطالع أهلّة الأسرار والعلوم ، الأنوار في ما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار ، الفتوحات المكّية ، وقد أقام هذا الكتاب على مبدأين : الوحدة بين التّاريخ والثّقافة الإنسانيّتين ، التّأثيرات الإسلاميّة في التصوّف الإسباني المسيحي في عصر النّهضة .

. محيي الدّين بن عربي (صدر في الكتاب المهدى لبلايو 1317/ 1899) .

. محيي الدّين بن عربي (نشر بمجلّة الثقافة الإسبانيّة ، مدريد 1344/ 1925 - 1345 / 1926 ، ثم 1347 / 1928 بمجلّة مجمع التّاريخ) .

. المتصوّف ابن عربي ، ترجمه الأب برباتولوز إلى الفرنسيّة (مدريد 1350-1344/ 1925-31) .

. نفسانيّة الوجد الصّوفي عند الغزالي وابن عربي (مدريد 1324 / 1906) .

. دراسة عن النّاحية المظلمة في صوفيّة ابن عربي بالاشتراك مع نيكلسن .

. نشر رسالة القدس لابن عربي 1348/ 1929) .

. الصّوفي المرسي ابن عربي : أربعة بحوث حوله أصدرها ما بين 1344-1347/ 1925-1928 وهي : ترجمة ذاتيّة 1344 / 1925 ، معلومات عن حياة ابن عربي مستمدّة من رسالة القدس 1344/ 1925 ، الخصائص العامّة لمذهب ابن عربي 1345/ 1926 ، مذهبه في التوحيد 1347 / 1928 .

- أبحاث تتعلّق بابن مسرّة .

. ابن مسرّة (مدريد 1333/ 1914) .

. ابن مسرّة ومدرسته : صدر في جزأين بعد وفاته (مدريد 7-1366/ 7-1946) .

- أبحاث تتعلّق بابن حزم :

. ابن حزم القرطبي المفكّر الدّيني (مدريد 1343/ 1924 ، 1353/ 1934) .

. نشرله كتاب الأخلاق والسّير في مداواة النّفوس وترجمه إلى الإسبانيّة 1928/1347.

. نشر له كتاب الفصل في الملل النّحل وترجمه إلى الإسبانيّة مع تحليل نقدي وشروح لأفكاره الدّينيّة (5 أجزاء ، مدريد 51- 1346/ 32-1927) .

. اهتمّ بمخطوطة " طوق الحمامة " بمكتبة لندن قبل أن ينشرها بتروف .

- أبحاث تتعلّق بابن باجة :

. ابن باجة السّرقسطي .

. نشر لابن باجة مجموعة من الرّسائل في الفلسفة والطبّ والعلوم الطبيعيّة منها رسالة النّبات 1359 / 1940 .

- نُشر له بعد وفاته كتاب " تدبير المتوحّد " لابن باجة (مدريد 1365 / 1945) .

- أبحاث تتعلّق بابن رشد :

. ابن رشد ولاهوت توما الأكويني (سرقسطة 1322/ 1904) .

- أبحاث تتعلّق بالكوميديا الإلاهيّة :

. المصادر الإسلاميّة في الكوميديا الإلاهيّة 1338/ 1919 .

. الآيات الإسلاميّة في الكوميديا الإلاهيّة : أورد فيه أدلّة تاريخيّة عن أخذ دانتي عن المعرّي (مدريد 1919/1338 ، 1363 / 1943) . ترجمه مختصرًا هـ. سندرلند(H.Sunderland) إلى الإنجليزيّة ، وترجمه كاملا إلى الفرنسيّة (باريس 1347-1348/ 28-1929) .

. قصّة المعراج والكوميديا الإلاهيّة (نُشر بعد وفاته، مدريد 1365/ 1945) .

- بحوث تتعلّق باللّغة :

. معجم بأسماء الأماكن من أصل عربي في الأندلس (مدريد 1364/ 1944) .

. معجم بأسماء النّبات في الأندلس في القرنين 6-5 / 12-11 لمؤلّف مجهول (مدريد 1943/1363) .

. دراسة عن كتاب العين 1331/ 1912 .

- دراسات وطبعات أخرى :

. جمع مقالاته المتعلّقة بتأثير الإسلام في أوروبا المسيحيّة في كتاب بعنوان "تأثيرات الإسلام "(1361/ 1941) .

. نُشرت له بعد وفاته مجموعة مختارة من بحوثه تحت عنوان " مؤلفات مختارة " صدر الجزء الأوّل 1366/ 1946 ، والجزء الثاني والثالث 1948/1368 .

. كتاب آراء المدينة (هكذا) (5 أجزاء ، مدريد 51-1346/32-1927) .

. مجموعة الأقوال المنسوبة إلى السّيّد المسيح في كتب المؤلّفين المسلمين ، نشره في مجموعة " كتب الآباء الشّرقيّين " التي يشرف عليها Nau ناو .

. يوسف ينساج الملقي (مدريد 1351/ 1932) .

. توما الأكويني وتورميدا وباسكال ويوحنّا الصّليبي (مدريد 1360/ 1941) .

. ابن عبّاد الرّندي ويوحنّا الصّليبي (مدريد 1352/ 1933) درس فيه تأثير ابن عباد في يوحنّا .

. دراسة عن ابن سعيد .

. دراسة عن البتاني 1359/ 1940 .

. دراسة عن الحيوان والبيان والتّبيين للجاحظ 1358/ 1939 ، 1374/ 1954) .

***أفكاره :**

من الصعب الإلمام بأفكار هذا المستشرق الكبير من خلال هذه المؤلّفات الغزيرة ، ونكتفي بالإشارة إلى بعض أفكاره الأساسيّة التي تقوم عليها جلّ بحوثه ، وإلى أفكار أخرى أثارت ضجّة في أوساط الدّراسات الشّرقيّة وبقي صداها إلى اليوم .

أ- أكّد بلاثيوس في دراساته العديدة حول المتصوّف الكبير ابن عربي ، وخاصّة في بحث له عنوانه " الإسلام المنصّر " ، على نظريّة وحدة الثّقافة في العالم . وتقوم هذه النّظريّة على أنّ الإسلام أخذ عن ثقافة العالم الكلاسيكي في الشّرقين الأدنى والأقصى ، وهضم هذه الثّقافات وعاد ليقدّمها إلى الغرب من خلال الأندلس، وهكذا أغلقت الدّائرة .

عارضه في هذه النّظريّة وخاصّة في مجال التصوّف ، تلميذه ماسنيون – المتخصّص في الحلاّج – لأنّه يرى أنّ الصّوفيّة نبعت من الإسلام ذاته دون أن يكون لها مؤثرات خارجيّة فيها .

ب – أوضح بما لا مجال للشك فيه أنّ دانتي في الكوميديا الإلاهيّة تأثّر بقصّة الإسراء والمعراج المترجمة إلى الإسبانيّة منذ 717/ 1317 . فقد تتبع رائعة دانتي بكلّ دقة وتفصيل وأرجع معانيها وأحداثها إلى أصولها في قصّة الإسراء والمعراج . كما بيّن أنّ دانتي متأثّر كذلك برسالة الغُفران للمعرّي .

ج – اكتشف مدى تأثير ابن عربي في الشّعر الصّوفي الإسباني بصفة خاصّة والأروبي بصفة عامّة .

د – دافع عن ابن رشد عندما أكّد على إيمانه بالله والرّسل واليوم الآخر . وظهر ذلك بوضُوح في كتابه " مناهج الأدلّة " .

وفي نظره أن ابن رشد لم يقل بنظريّة الحقيقتين الدّينيّة والفلسفيّة ، وإنّما حاول التّوفيق بين الدّين والعقل . وهي محاولة من التمام والكمال ما جعلها محلّ إعجاب المفكّرين والفلاسفة بعد ابن رشد وخاصّة توما الأكويني .

ومن ناحية أخرى نقد بلاثيوس ابن رشد في محاولته التّوفيق بين القول بحدوث العالم وبين النّظريّة المشائية التي تقول بقدمه لأنّ التّوفيق بينهما حسب بلاثيوس مستحيل .

هـ ـ نقد دوزي في آرائه التي أوردها في كتابه " تاريخ مسلمي الأندلس " ، فقد أرجع المستشرق الهولندي سبب عفّة ابن حزم وطهارته إلى أصوله المسيحيّة . وكأنّ العفّة والطهارة حكر على هذه الدّيانة . لكن بلاثيوس وقع فيما يشبه آراء دوزي عندما أرجع سبب الحبّ العذري لدى ابن حزم في طوق الحمامة إلى أصول مسيحيّة.

وساير بلاثيوس دوزي وريبيرًا في إنكارهما لوجود ثلاثة قضاة ترجم لهم الخشني في كتابه " قضاة قرطبة (ص9) : وهم مهدي بن سالم وعنترة بن فلاح ، ومهاجر بن نوفل . وسبب هذا الإنكار هو تقواهم وصلاحهم زيادة على أنّ الخشني اعتمد في الترجمة لهم على رواية أحمد بن فرج بن منتيل ، وهذا منسوب إلى مذهب ابن مسرّة وهو زنديق في نظرهم ، وهذا تعليل غريب من هؤلاء المستشرقين الكبار.

هذا هو المستشرق المخضرم ما بين القرنين 13/ 19، 14/ 20 ، المتخصّص في دراسة اللاّهوت ، والمنكبّ طيلة حياته على التصوّف والفلسفة في الفكر العربي

الأندلسي ، والمعرّف بأبرز أعلامهما في شبه الجزيرة الإيبيريّة بعد أن أتقن اللّغة العربيّة وادرك عبقريّتها وأصبح كأحد أبنائها نطقا وكتابة . وبهذه اللّغة أطلع على الشريعة الإسلاميّة بعمقها الفكري وقيمها السّمحاء فوقف منها موقف الاعتدال والإنصاف.

د- زهرة الباقلاء في ترجمة أنجل جنثالث بالنثيا[25]:

*** حياته :**

ولد بالنثيا بقرية هوركايو دي سنتياجو Horcayo de Santiago بمحافظة قونقة Cuenca سنة 1307/ 1889 وتوفي إثر حادث سيارة بقوقنة سنة 1369/ 1949 ، وحمل جثمانه إلى مدريد .

تعلّم العربيّة واللاّتينيّة في المعهد الدّيني سمناريو كنسيليار Seminario Conciliar . ودرس فيه أيضا الفلسفة واللاّهوت . وزغم هذه الدّراسة ، فإنّه لم يرغب في مواصلة دراسته ليصبح قسّيسا . لذا نراه بعد الحصول على الباكالوريا 1326 / 1908 يلتحق بجامعة مدريد لينال منها الإجازة في الفلسلفة والآداب 1328 / 1910 .

سافرَ إلى الرّباط بالمغرب بمنحة إسبانيّة 1335/1916. وقام بتحقيق " تقويم الذّهن" لأبي الصّلت الدّانيّ في نطاق الحصول على الدّكتوراه من جامعة مدريد سنة 1334/ 1915 .

عيّن عضوا في هيئة المحفوظات وأمناء المكتبات والآثار في فرعها بمدينة طليطلة . وساعده الأستاذ ميجال آسين بلاثيوس، الذي تعرّف عليه بجامعة مدريد، على الانتقال من طليطلة إلى مدريد للعمل في إدارة المحفوظات التّاريخيّة والوطنيّة .

أصبح أستاذا مساعدًا للّغة العربيّة في كلّية الآداب بجامعة مدريد سنة 1335/ 1916 مع استمراره في العمل في المحفوظات مفهرسًا لها .

---

[25] وقع الاعتماد في هذه الترجمة على : مقال حــول بحــوث بالنثيا في مجلة الأندلس للويس رخاس راي Luis Rejas Rey ج I / 1949 ص.ص XXV–XIII بالإسبانيّة ، ومقال لغرسيه غومث حول بالنثيا في نفس المجلــة 1949 / XIV-E ص.ص I - XI، بدوي : الموسوعة، ص.ص 72-74، مصطفى الشكعة : المغرب والأندلس، ص 55، 56 ، 80 ، 109 .

ولمّا تنازل ريبيرا مختارًا عن التّدريس بجامعة مدريد تقدّم بالنثيا لهذا المنصب ببحث في تاريخ الأدب العربي الإسباني فناله سنة 1347 / 1928 .

انتخب سنة 1349 / 1930 عضوا في الأكاديميّة الملكيّة للتاريخ ، فألقى بحثا بهذه المناسبة عنوانه : " تأثيــر الحضارة العربيّة " وطبع تحت عنوان " الإسلام والغرب" (مدريد 1350/ 1931) ، كما انتخب عضوا في الأكاديميّة الإسبانيّة الملكيّة وألقى بالمناسبة محاضرة حول بيدرو دي مدينا Pedro de Madina . وسيهتمّ منذ الآن بهذه الشخصيّة ونشر مؤلّفاتها سنة 1364/ 1944 .

تولّى إدارة مدرسة الدّراسات العربيّة في مدريد بعد وفاة مؤسسها آسين بلاثيوس سنة 1364/ 1944 . وقد أصبحت بداية من هذه السّنة تسمّى معهد ميجال آسين بلاثيوس .

***مؤلّفاته :**

مؤلّفات بالنثيا تدور حول أربعة محاور :

– التحقيق :

. تحقيق " إحصاء العلوم " للفارابي وترجمته إلى الإسبانيّة 1351/ 1932 .

. تحقيق ملحق لنشرة كوديرًا لكتاب التكملة لابن الأبّار بالاشتراك مع ألاركون .

. نشر كتاب بيدرو ألفونسو : السّلوك الإكليركي وتعليم رجال الدّين (النصّ اللاّتيني مع الترجمة إلى الإسبانيّة 1368/ 1948) .

. تحقيق قطعة من كتاب الصّلة لابن بشكــوال بالاشتراك مع ألاركون (مدريد 1915/1334) .

. تحقيق كتاب " تقويم الذّهن " لأبي الصّلت . (مدريد 1334/ 1915) وترجمته إلى الإسبانيّة.

. نشر كتاب ألف ليلة وليلة (مدريد 1350/ 1931) .

. وثائق عربيّة 60-1359/ 1-1940 .

. الوثائق الدّيبلوماسيّة العربيّة في محفوظات بلاط أراغون 1354 / 1935 .

. فهرس المحفوظات العربيّة والأعجميّة في مكتبة جمعيّة الأبحاث العلميّة بمدريد ، بالاشترك مع ألاركون وهويثي ميرندا (مدريد 1331/ 1912) .

. فهرس إسبانيا المقدّسة (مدريد 1337/ 1918) .

- دراسات تاريخيّة وأدبيّة وحضاريّة :

. الإسلام والغرب 1350/ 1931 .

. المستعربون في طليطلة في القرنين 6/ 12 ، 7/ 13 (في 4 مجلّدات 49-1345/ 30-1926).

. النّصارى تحت حكم المسلمين استنادًا إلى وثائق المحفوظات (4 مجلدات 1345 / 1926).

. موجز لتاريخ إسبانيا الإسلاميّة(1344 / 1925 ، طبع عدّة مرّات) .

. مسلمو شمال إفريقيا والنّصارى في العصر الوسيط 1365 / 1945 .

. دراسات تاريخيّة وأدبيّة : مجموعة من المقالات : المجموعة الأولى : تراجم وأساطير 1362 / 1942 ، المجموعة الثانية : المسلمون والنّصارى في إسبانيا في العصور الوسطى 1365/ 1945 .

. تاريخ الأدب الإسباني بالاشتراك مع أورتادو (طبع عدّة مرّات) .

. الرّومانثيرو خنرال في مجلّدين 1367/ 1947 . .

. الإسلام والشّعراء المنشدون 1342 / 1923 .

. الجدل حول الموسيقى والشعر العربي 1366 / 1946 .

. دراسات عن الإسلام والكوميديا الإلاهيّة 1344 / 1925 .

. صور اجتماعيّة من الأندلس 1366/ 1946 .

- ترجمات :

. ترجم " حيّ بن يقظان " لابن طفيل إلى الإسبانيّة(1353 / 1934) وهي ترجمة أفضل من ترجمة بونس بويجس .

. ترجمات إسبانيّة لكتاب السّندباد 1366 / 1946 .

- التّعريف بالأعلام :

. رئيس الأساقفة ريموندو ومدرسة المترجمين بطليطلة(1362 / 1942).

. سيرة جونثالو بيريث، سكرتير فليبII (1366/ 1946) .

وأهمّ كتاب وأعمقه في الدّراسات الاستشراقية لبالنثيا ، وفيه صدى لكل بحوثه السّابقة هو كتابه الذي عنوانه بالإسبانيّة " تاريخ الأدب العربي في إسبانيا "(1347/ 1928). وكلمة أدب في هذا العنوان جاحظيّة المعنى ، لذا عندما عرّب د. حسين مؤنس هذا الكتاب جعله تحت عنوان " تاريخ الفكر الأندلسي" (طبع بالقاهرة 1375 / 1955) .

***أفكاره :**

من أهمّ أفكاره التي تردّدت في هذا الكتاب بصفة خاصّة وبقية بحوثه بصفة عامّة:

أ) لقد وقعت عدّة أخطاء في ترجمة كتب ابن رشد إلى اللاّتينيّة ممّا جعل فهم آرائه عسيرًا ، ورُسمت له من خلال الترجمة والأخطاء صورة في أوروبا – وخاصّة الكنيسة – باعتباره مارقا عن الدّين ونُسب إليه كتاب لم يره أحد ، زعموا أنّه يتحدّث فيه بنظريّة الدّجّالين الثلاثة التي تقول ببطلان الأديان الثلاثة ، اليهوديّة والنّصرانيّة والإسلام .

ومع هذا الدّفاع عن ابن رشد لا ينفي بالنثيا عنه أفكاره التي لم تكن تأتلف تماما مع حرفيّة العقيدة ، وأنّه يقول بحقيقتين إحداهما الحقيقة الدّينيّة والأخرى الحقيقة الفلسفيّة ، وهما متناقضتان ولكنّ كلاّ منهما صحيحة .

ب) ردّ بالنثيا على سيمونيت في تحامله على الحضارة الأندلسيّة قائلا لقد " ازدهر علم الطبّ ازدهارًا عظيما بين مسلمي الأندلس من ذلك كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولود لعريب بن سعيد (مخطوط الأسكريال).

وردّ كذلك على دوزي في تمجيده لعهد الطّوائف. وهو يرى أنّ هذا العهد كان سببا في تفتّت وحدة الأندلس وضياعها أمام توحّد النّصارى وتصميمهم على

استرجاعها، كما ردّ على دوزي في ما ذهب إليه من أنّ عصر المرابطين هو عصر تخلّف فكري وتأخر أدبي .

ويكفي دليلا على اعتدال بلاثنيا في أحكامه قوله " إنّ المرحلة الإسلاميّة في تاريخ إسبانيا هي أكثر الحقب وضاءة والتماعًا " ، وهذا الشعار يرفع بالنثيا إلى درجة الزّعامة لأصحاب التيار الثّاني المعتدل والمنصف للفترة العربيّة بإسبانيا .

هـ - جدول لبقيّة المستشرقين

المخضرمين (13/ 19- 14/ 20)

الاسم واللّقب	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها	التّخصّص	المصدر
Albornoz C.S ك.س-ألبورنوث	1893/1311 آبلة	1984/1405 آبلة	مؤرّخ متعصّب، وهو القائل " إنّ إسبانيا تقتصر أصولها على العناصر الرّومانيّة والقوطيّة اللاّتينيّة الكاثوليكيّة "	بدوي: ص340 دراسات أندلسيّة: 29/ 2003 ص37
Alemany J.B.Y خ.ب، إي ألماني	1866/1283 في كوبيرة من أعمال بلنسيّة	1934/1353 مدريد	جغرافيّة الأندلس	العقيقي: 592
Alonso, P.M م. ألونسو	1893/1311 أستورقة من أعمال ليون		اللاّهوت والفلسفة وخاصّة ابن رشد	العقيقي: 605-604
Antuna P.M.M الأب أنطونا ب.م.م	1889/1307	1936/1355 قتل في الحرب الأهليّة	تاريخ الأندلس	العقيقي: 594
Balbas L.T بلباس .ل. ت.	1888/1306	1960 /1380	الآثار الإسلاميّة	مجلّة الأندلس: ج 1960/25 ص 263، بدوي: 128، العقيقي: 601
Cardinas, A كارديناس أ.			تلميذ سيمونيت تاريخ ــ آثار	
Gassit,O,Y جاسيت.أ، إي	1883/1301	1955/1375	مختصّ في الفلسفة - متحامل وهو القائل: " الثّقافة الإسلاميّة جافّة وعقيمة لفرط ما هي خاضعة لهيمنة القرآن والصّحراء، والعرب في الأندلس لم يشكّلوا أبدًا عنصرًا أساسيًا في هويّتنا القوميّة " .	دراسات أندلسيّة: 2003/29 ص 37، 42 .

Gagigas, I. إيزيد وردي لاص جاخيجاس	1892 /1310	1956/1376	من تيار سيمونيت، وافق لـ. بروفنسال في قوله : إنّ العرب مثّلوا طبقة أرستقراطيّة في الأندلس . وأضاف أنّهم كانوا مستبدّين غاصبين .	مصطفي الشّكعة: المغرب والأندلس، ص 50 .
Gonzalez F.F,Y ف.ف. إي جونثالث	1833/1249 البسيط Albacete	1917/1336	تلميذ جاينجوس – اهتمّ بالمدجّنين والموريسكيّين.	بدوي: 396
Longas, P.P الأب لونجاس	1881/1299		تاريخ	العقيقي: 593
Miranda,A.H أمبروسو هويسيي ميراند			متخصّص في التّاريخ	العقيقي: 603-604
Morata, N.P الأب، ن. موراتا	1886/1304	1960/1380	فلسفة – فهرسة المخطوطات – ابن رشد وابن باجة	العقيقي: 600 بدوي: 574
Morgas,E.S إ. س مورجاس	1829/1245 طرّجونة	1912/1331	تلميذ جايانجوس – مختصّ في الموريسكيّين	العقيقي: 587 بدوي: 332
Ortiz, L.J لـ. أورتيث	1898/1316		– فقه – فتاوى	العقيقي: 606
Palayo, M. Y م. إي بلايو	1856/1273 سنتادر	1912/1331	مختصّ في الخوارج والشعر القشتالي، متعصّب ضدّ الموريسكيين ويرى في تعذيبهم وطردهم حتميّة تاريخيّة .	العقيقي: 587 دراسات أندلسيّة: 29/ 2003 ص 41
Pareja, F.M الأب باريخا اليسوعي	1890/1308	1983/1404	إسلاميات : فلسفة وحضارة	بدوي: 65 العقيقي: 602
Perez, J.A خ. أ. بيريث	1882/1300	1958/1378	تاريخ الرّياضيات	العقيقي: 600 بدوي: 151
Pidal, M م. بيدال	1869/1286 لاكرونه	1968/1388	تاريخ الأندلس وحضارتها . تبع ريبيرا في نظريته حول الأصول اللاّتينيّة للزّجل والموشّحات	العقيقي: 598 دراسات أندلسيّة: 2003/23 ص37
Quiros,P.C الأب .ك.كيروس	؟	1960/1380	حضارة الأندلس (أدب، فلسفة)	العقيقي: 601
Remiro, G.M	1868/1285	1925/1344	تلميذ كوديرا وريبيرا – تاريخ الأندلس.	العقيقي: 590

ج.م ريميرو	سرقسطة			
Robles,G ج. روبلس	؟	1920/1339	- تلميذ سيمونيت. - مهتم بالنّصوص الألخاميّة ومتعاطف مع الموريسكيّين- فهرسة المخطوطات	العقيقي: 599 بدوي: 283
Santon, M .A.A.Y م.أ.أ. إي صنتون	1880/1298 لارودة La Roda من أعمال البسيط Albacete	1932/1880	- تلميذ بلاثيوس . - مختصّ في اللّهجة العاميّة المغربيّة – فهرسة المخطوطات.	العقيقي: 591 الزركلي: الأعلام 285/7
Valligrosa, J.M.M خ.م.م ڤاليكروسا	1897/1315 قرية من أعمال خيرون	1970/1390 برشلونة	تاريخ العلوم + نصوص عبريّة.	العقيقي: 605 بدوي: 389
Vila, S. س.فيلا	؟	1936/1355	تاريخ الأندلس.	العقيقي: 594

II–القـــــرن 20/14

لقد مهّدت العناصر الإيجابيّة في الحركة الاستشراقيّة الغربيّة خلال القرن 19/13 لتطوّر دراساتها فأصبحت جزءا من الدّراسات الجامعيّة الجادّة، المتميّزة بالمعاناة الطويلة ، والصّبر اليعقوبي ، والتخصّص الدّقيق ، والمنهج المضبوط، والموضوعيّة الصّارمة . ويمكن أن نعتبر بعض دوائر المعارف وفي مقدّمتها دائرة المعارف الإسلاميّة خير نموذج لهذه الدّراسات المعمّقة والنّزيهة .

وأصبح المساهمون في هذه الدّراسات في القرن 20/14 ينتمون من حيث العقيدة إلى الدّيانات السّماويّة الثّلاث، ومن النّاحية الجغرافيّة إلى العالمين الغربي المسيحي والشّرقي الإسلامي .

أمّا المستعربون في الشركات المتعدّدة الجنسيّات وفي وزارات الدّفاع والخارجيّة والمخابرات ، فلم يعد ينتمون إلى الاستشراق بمفهومه الاصطلاحي السّابق، وإن استمرّوا في الاستفادة من بحوث المشتشرقين المخلصين ، وتوظيفها في الأهداف التي يرومون خدمتها. فالمعرفة في القرن 20/14 أصبحت بضاعة لها أسواقها، والكلّ بماله من إمكانيات يستطيع ارتيادها والانتفاع بها .

وفي القرن 20/14 توسّع الاستشراق جغرافيّا غربا وشرقا، فقد دخلته غربا أمريكا الشماليّة ، وظهر ذلك بوضوح بعد الحرب العالميّة الأولى، وشرقا دخله الاتّحاد السّوفياتي وخاصّة بعد ثورة سنة 1917/1336 .

ولم يكن هذا التوسّع الجغرافي – مع الأسف – في جانب كبير منه يخدم الموضوعيّة والنّزاهة في ميدان الدّراسات الاستشراقيّة . فقد واصل المبشّرون والمستعمرون نشاطهم القديم الجديد لتحقيق أهداف لم يعد الاستشراق الأكاديمي يعترف بها . وبرز على الركح عنصران آخران جديدان هما الصّهيونيّة العالميّة بأطماعها والمفكّرون الأحرار من ماركسيّين ومادّيين بإلحادهم . وتضافرت جهود

الجميع للعمل على نشر دراسات الهدف منها إضعاف العقيدة والأخلاق معا في العالم العربي الإسلامي للسّيطرة عليه عقليا وأخلاقيّا .

وواجه زعماء الإصلاح في الوطن العربي هذه التيارات المغرضة عن طريق الجدل بينهم وبين بعض كبار المستشرقين الغربيّين . ولئن ذكّرنا هذا الجدل بما دار بين رجال الكنيسة وعلماء الإسلام في القرون الوسطى ، فإنّ الجدل في أواخر القرن 13 / 19 وبداية القرن 14/ 20 تركّز على الجانب الحضاري الاجتماعي أكثر من تركّزه على الجانب الدّيني العقائدي. وخير مثال على ذلك الحوار بين جمال الدين الأفغاني ورنانRenan ومحمد عبده وهَنوتوHanotaux ورشيد رضا وبرمنجهام Bermenghem.

وبالنّسبة إلى شبه الجزيرة الإيبيريّة تفرّعت أغصان شجرة الاستشراق الإسباني في القرن 20/14 وأعطت أكلها ثمارًا طيّبة إلاّ ما أفسدته جرثومة الميل مع الهوى وهو قليل . وتمّ ذلك على مستويات عدّة .

1) المستوى التّراثي :

لقد كان لمدرسة كوديرًا الفضل في التّرويج لمنهج علميّ يتّسم بالموضوعيّة والإنصاف. ولئن بدأت هذه المدرسة بالانكباب على تحقيق نصوص فكريّة ثقافيّة بحتة ، ودراستها وترجمة بعضها ، فقد اهتمّ الجيل الثاني من هذه المدرسة وهو المخضرم ما بين القرنين 13/ 19 و 20/14 بأغلب فروع التّراث الأندلسي . واستأنفوا مشروع كوديرًا تحت عنوان جديد " المصادر العربيّة الإسبانيّة " Fuentes Arábica Hispaña . وتعاون في هذا المشروع العلمي مؤسسات إسبانيّة عدّة منها المجلس الأعلى للأبحاث العلميّة ، ومعهد التعاون مع العالم العربي، والوكالة الإسبانيّة للتعاون الدّولي، ومعهد مياس فاليكروزه . وصدر عن هذا المشروع عدّة كتب تراثيّة هامّة منها :

- رقم 4 كتاب " الأغذية " لأبي مروان عبد الملك بن زهر(1413/ 1992).
- رقم 7 كتاب " الأندلس في اقتباس الأنوار، وفي اختصار اقتباس الأنوار للرّشاطي ولابن الخرّاط الإشبيلي (1411/ 1990).

- رقم 8 كتاب " المستغيثيـــن بالله تعالى عند المهمّات والـــحاجات" لابن بشكوال (1991/1412).
- رقم 15 كتاب الأنواء والأزمنة(القول في الشّهور) لابن عاصم(1993/1414).
- رقم 17 كتاب المجرّبات لأبي العلاء بن زهر(1990/1411).
- رقم 19 كتاب القربة إلى ربّ العالمين بالصّلاة على محمّد سيّد المرسلين ، لابن بشكوال(1995/1416).
- رقم 31 رسالة الصفيحة الجامعة لجميع العروض لابن باضه(1993/1414).

ونادرًا ما نجد من مستشرقي القرن 20/14 في إسبانيا من لم يقم بتحقيق كتاب أو أكثر وترجمته ، وقد أعاد بعضهم تحقيق كتب سبق أن نُشرت، ولم يكن تحقيقها أو ترجمتها – في نظره – في المستوى المطلوب .

2) المستوى الجامعي الأكاديمي :

بفضل كوديرا وبنيه أصبحت اللّغة العربيّة ، في مرحلة أولى ، تدرّس في نطاق قسم اللّغات السّامية ، في جميع كلّيات الآداب بالجامعات الإسبانيّة العريقة كجامعة مدريد وجامعة برشلونة ، وجامعة غرناطة ، وفي الجامعات الحديثة التكوين كجامعة لا لاجونةLa Laguna 1370 / 1950 ، وفي مرحلة ثانية ضاعفت الحكومة الإسبانيّة كراسي اللّغة العربيّة في جامعاتها ، كما أعدّت مشروعًا أصبحت العربيّة بموجبه تدرّس في بعض المدارس الثانويّة تمهيدًا لتخصّص تلاميذها في اللّغة العربيّة عند انتقالهم إلى التعليم العالي .

واهتمّت الحكومة الإسبانيّة باللّغة العربيّة الدّارجة وخاصّة اللّغة الدّارجة المغربيّة وجعلتها تدرّس في حوالي خمسين مدرسة من مدارس التّجارة المنتشرة في أغلب مدنها .

وفي نطاق هذه الجامعات كانت تصدر مجموعة من المجلاّت المختصّة في الأدب والحضارة والتاريخ الإسلامي قديما وحديثا بصفة عامّة ، والتّراث الأندلسي بصفة خاصّة كمجلّة الأندلس (أصبحت سنة 1980/1401 تسمّى القنطرة) ، أوراق (يصدرها المعهد الإسباني العربي) للثقافة ، شرق الأندلس (تصدرها جامعة أليكانت) والألخاميّة

(تصدرها جامعة أوفيدو)، قرطبة (جامعة قرطبة) مِسْثِلانِيَا Miscelánea [1] وخاصّة مجلّة الجمعيّة الإسبانيّة (جامعة أُوتُونُمَا بمدريد) .

3) مستوى مؤسسات البحث العلمي :

ومن حيث مؤسسات البحث العلمي أنشئت مراكز للبحث كمدرسة الدّراسات العربيّة في مدريد سنة 1933/1352 وأضيف إلى هذه المدرسة مركزان للبحث في مدريد وغرناطة ، ثمّ اندمجت المدرسة في المجلس الأعلى للأبحاث سنة 1939/1358 وأطلق عليها اسم " معهد آسين بلاثيوس للدّراسات العربيّة " سنة 1362 / 1944 . وفي سنة 1946/1363 أنشأ الجنرال فرانكو في سلمنكة أقدم مركز للدّراسات الاستشراقيّة وهو المعهد الماروني اللّبناني .

وللمجلس الأعلى للأبحاث معهدان آخران تابعان له هما معهد الدّراسات الإفريقيّة، ومعهد الدّراسات السّياسيّة وفيه قسم لدراسة الإسلام المعاصر .

وهناك مدرسة الألسن العليا في مدريد وبها قسم للعربيّة . وفي سنة 1956/1376 أسّس في مدريد المعهد الإسباني العربي للثقافة ، وأنشئت له مراكز في جلّ – ان لم نقل في كلّ – البلدان العربيّة وأصبح يعرف اليوم باسم مركز سارفنتس الثقافي.

4)المستوى الابداعي :

لقد مُكّنت الأعمال الاستشراقيّة الإسبانيّة في المستوى التّراثي الجيل الثالث من مدرسة كوديرًا من الاطلاع على كنوز الأدب الأندلسي القديم شعرا ونثرا. فواصل قسم منهم الاعتناء بهذا التّراث تحقيقا وترجمة ودراسة، وتأثّر المبدعون منهم بهذا التّراث فوجدوا فيه ما أثار قريحتهم وألهب إحساسهم وأوسع خيالهم ، وخير مثال على ذلك .

أ- الشّاعر الكبير والكاتب القدير " لوركا" خاصّة في ديوانه " التّماريث" ، وفيه نجد عديد المصطلحات والتعابير (ظبية، غزال...) والأسماء التي كانت متداولة في مدينة غرناطة أثناء الوجود العربي بها .

---

[1] مجلة الدّراسات العربيّة والعبريّة (جامعة غرناطة) .

ب – رائد الشعر الإسباني الحديث خوان رامون خمينيث (1299/ 1881-1378/1958) الحائز على جائزة نوبل للآداب سنة 1956/1376 . فقد قرأ هذا الشّاعر كلّ ما ترجمه غرسية غومث من شعر أندلسي إلى الإسبانيّة وتأثّر به، وكان له صدى في إبداعه الشّعري ، وبصفة عامّة يرى المستشرق سيرافين فنخول أنّ للزّجل والفلسفة والتصوّف والطرائف والنّوادر والأمثال العربيّة، تأثيرا في الأدب الإسباني منذ القرن 16/10 إلى القرن 20/14 . وأكّدت ذلك المستشرقة المنصفة ، تيريسا جارولو، فهناك – في نظرها – من الأساليب والعبارات والجمل في الأدب الإسباني ما لا يمكن إنكار أصوله العربيّة ، ولا يمكن أن نفسّر طريقة التّفكير والتّعامل وأساليب المجاملات لدى الإسبان دون الأخذ بعين الإعتبار فترة التعايش بينهم وبين العرب لمدّة ثمانية قرون .

5- مستوى الأدب العربي المعاصر

لقد أعجب الإسبان وتذوّقوا أدبهم الأندلسي القديم عندما قُـدّم لهم في ترجمات رائعة، هي من حيث المستوى الفنّي " إبداع على إبداع" ، وقد رأى بعضهم في نهضة الوطن العربي وخاصّة في النّصف الثاني من القرن 20/14 – وبعد التخلّص من نير الاستعمار– مجالا فسيحا لربط الماضي الأندلسي الأصيل بالأدب العربي الحديث : فتخصّص بعض المستشرقين من الجيل الثّالث في ترجمة هذا الأدب ودراسته سواء أكان شعرا أو رواية أو قصّة أو مسرحا . وعن طريق هؤلاء أصبح لهذا الأدب مكانة في الآداب العالميّة ، وهي مكانة حاول عرقلتها الاستعمار والحركة الصّهيونيّة فما استطاعا . ويعود الفضل في ذلك إلى الإستشراق الإسباني المنصف : فهذا المستشرق فريديريك أريوس ، بعد أن ترجم شعر الخمسينيات والسّتينيات من القرن 14/ 20، رأى فيه شعرا مملوءا بالحيويّة والنّضج الجمالي . واهتمّ المستشرق سيرافين فنخول بالشّعر العربي الشعبي ولاحظ فيه واقعيّة وإنسانيّة قلّ أن نجد لها نظيرا في شعر شعبي آخر . أمّا اهتمام المستشرق بدرو مارتينث مونتابث (ولد 1352/1933) بالأدب العربي الحديث من قصّة ورواية ومسرح فقد جعلت هذا الأدب معروفًا في كامل أروبا وأمريكا اللاّتينيّة وترغب بعض دور النّشر – بعد أن أعرضت عنه طويلا – في طبعه .

وبهذه المستويات المتعدّدة أصبحت شجرة الاستشراق الإسباني في القرن العشرين بأغصانها المتعدّدة ومدارسها المختلفة ومكتباتها المتخصّصة ومؤسساتها المشجّعة تُروى بما كان ينساب إليها من بحوث ودراسات تُلْقى في ندوات علميّة راقية .

إنّ ما وقع من مؤتمرات حول التّراث الأندلسي داخل إسبانيا وخارجها في القرن 20/14 يدلّ على أنّ الاستشراق الإسباني زيادة على تخصّصه في ميدان الدّراسات الأندلسيّة عادت له الرّيادة بمفهوم جديد وهو انكباب مجموعة من الدّارسين الجامعيين ذوي الكفاءة من الإسبان والعرب وغيرهما على هذا التّراث في محاولة لإبراز فوائده العلميّة وقيمه الأخلاقيّة ومبادئه الإنسانيّة لتستفيد منه البشريّة جمعاء .

وبهذا الاتّجاه الجديد من الموضوعيّة العلميّة ، لم يعد للاستشراق الإسباني صلة بالمبشّرين وأحلامهم ولا الصّهيونيّة وغلاتها ، ولا المستعمرين وأطماعهم ولا المفكّرين الماديّين وإلحادهم .

الاستشراق الإسباني في القرن 14 / 20 بصفة عامّة لم يعد هدفه التّركيز على فترات الضّعف في التّاريخ الإسلامي لاستغلالها في التّشويه، ولا تهميش فترات قوّته لغرس الإحباط في النّفوس ، ولا التّركيز على الأقليات والقوميّات في الوسط الاجتماعي العربي الإسلامي لخلق التّفرقة بين مواطنيه .

لقد اقتنع الاستشراق الإسباني اليوم أنّ الإسلام، وقد كان تراثه جزءا من تراثه لمدّة ثمانية قرون، ليس حركة سياسيّة دينيّة بل هو حركة اجتماعيّة تريد أن تقف في وجه الظّلم الاجتماعي والقهر السّياسي والإحباط الاقتصادي داخل العالم الإسلامي وخارجه .

والاستشراق الإسباني بتراثه الأندلسي هو أقرب استشراق لفهم العقليّة العربيّة الإسلاميّة ، وبذلك تفطّن إلى ما يمكن أن يكون من ردّ فعل المجتمعات الإسلاميّة وأصحاب الحضارات الشّرقيّة باعتبار أنّ دراستهم تمسّ هويّتهم الدّينيّة والأخلاقيّة ، كما تمسّ حياتهم اليوميّة . كما فهم عن جدارة أنّه لا يمكن أن ندرس هذه المجتمعات والحضارات إذا لم تؤخذ بعين الاعتبار وجهة نظر أصحابها وقيمهم .

إنّ النّظرة الاستشراقيّة الوحدانيّة الجانب التي سادت في الرّبع الأخير من القرن 20/14 أخلّت بالتّوازن بين العالمين الغربي والشّرقي . والاستشراق الإسباني بمختلف أنشطته ومراكز بحوثه حاول تعديل الكفّة ، كما حاول أن يجد في تراثه الأندلسي قواسم مشتركة بين العالمين الشرقيّ والغربيّ ، هدف من ورائها بناء جسور للحضارة بين الشّعوب ، وإضعاف ما برز في نهاية القرن 14 / 20 من نظريّة صدام الحضارات [2] .

والاستشراق الإسباني لم تعد له صلة بالاستشراق الغربي ، وخاصّة الأمريكي ، في محاولته وضع سياسة احتواء الإسلام بتراثه القديم وحركاته التّحديثيّة. وبذلك تخلّى نهائيا عن التوجه الاستشراقي القائم على فرض نموذج الغرب على الشرق قسرا وجبرا ، في كلّ مجالات الحياة السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والدّينيّة ، ووجد في تراثه الأندلسي ما يمكن أن يستفيد منه اليوم وغدا .

إنّ الاستشراق الإسباني تخلّص أو يكاد من التّهمة الموجّهة عادة إلى بعض أهل الاستشراق من أنّهم يجهلون حقيقة الإسلام ، ومن أنّ دراساتهم فيها كثير من الغطرسة والإهانة للمسلمين ، تقودهم فيها تيارات سياسيّة وإيديولوجيات فكريّة لها مصالح ورؤى وأهداف تخالف تمام الاختلاف رؤى الوطن العربي والعالم الإسلامي ومصالحه بصفة خاصّة والشرق بصفة عامّة .

ولا يمكن أن يذهب بنا الظنّ إلى أنّ الاستشراق الإسباني كلّه إيجابيات . ولئن أنصف الشيخ كوديرا في القرن 19/13 الحضارة الأندلسيّة ، وواصل تلاميذه وأحفاده في القرن 20/14 هذا الاتجاه بل دعّموه ، فهناك من زعماء هذه المدرسة تحت تأثير عقيدته الدّينيّة وتقربا للكنيسة الكاثوليكيّة مَن تجنّى في بعض أفكاره على الثقافة الإسلاميّة كالمستشرق أرتيجا إي جاسيت ، ومنهم من تشفّى من الموريسكيّين الضّعفاء المطرودين من وطنهم قهرًا وعسفا كمينينديث بيلايو، ومنهم من تنكّر للدّور الذي قام به العنصر العربي في الحضارة الأندلسيّة كغرسية غومث ، بل منهم من

---

[2] لتدعيم هذه النظريّة قامت وسائل الإعلام الغربيّة تحت تأثير بعض هذه الدّراسات بتهويل فريضة الجهاد في الإسلام ، واعتبرت كلّ من يدافع لاسترجاع كرامة مسلوبة وحقّ مغصوب ومقدّسات منتهكة إرهابيًا .

تتكّر للدّم الذي يجري في عروق أغلبيّة الإسبان كخوليان ريبيرا . والأغرب من هذا أن يتنكّر بعضهم لحقائق علميّة ثابتة كآسين بلاثيوس عندما أرجع الحبّ العذريّ في طوق الحمامة لابن حزم إلى أصول مسيحيّة. والأنكى من كلّ ذلك أنّ بعضهم كانوا أعضاء في جمعيات استعماريّة أيّدت وتعاونت ومهّدت السّبيل للقوى الاستعماريّة الإسبانيّة لاحتلال بعض أجزاء من المغرب الأقصى ، وعندما أنشأت الحكومة الإسبانيّة مجلسا للتّعليم في شمال المغرب عقب الحامية المفروضة عليه سنة 1331/ 1912 كان خوليان ريبيرا وآسين بلاثيوس عضوين فيه .

ومن حسن الحظّ أنّ هذه السّلبيات في شجرة الاستشراق الإسباني الوارفة الظلال هي عبارة عن فروع من أغصانها سرعان ما ذبلت وتساقطت في النّصف الثاني من القرن 20/14، ولم يبق من غصون هذه الشّجرة إلاّ ما هو مثمر يعطي أكله مرّات في توطيد العلاقات الإسبانيّة العربيّة .

وإذا كان من الصّعب أن نترجم للمستشرقين بشبه الجزيرة الإيبيريّة في القرن 14 /20 ، نظرا إلى أنّ أغلبهم مازالوا على قيد الحياة ، فإنّ الجدول التّـالي يقدّم لنا صورة واضحة عن المستشرقين الإسبان بتخصّصاتهم ومواضيع اهتماماتهم ومواقفهم من كبرى القضايا التي تطرّقوا إليها . ومع ذلك نعترف أن هذا الجدول ليس نهائيا ولا يخلو من ثغرات لم تسعفنا المراجع بسدّها .

6- جدول المستشرقين الإسبان في القرن 14/ 20

اللّقب والإسم	الولادة ومكانها	الوفاة ومكانها	الاختصاص	المصدر
أريوس فريدريك Aryus.F	من الجيل الثالث		مهتمّ بالشّعر العربي الحديث وخاصّة شعر الخمسينيات والستّينيات	
بيلاديث إميليو Beladiz, E			مؤرّخ وديبلوماسي	العقيقي: 610
بنومايا خيل Benumeya, P.G			مختصّ في التاريخ العربي الحديث	العقيقي: 617
برميخو خواكين بالبو Bermejo Joaquen Valvo			مختصّ في الأدب	دراسات أندلسيّة: 29/ 2003 ص 38
برابو كارمن رويث Brabo, C.R	من الجيل الثالث		- حاربت الخرافات والأوهام التي صاغها الغرب عن العرب. - الأدب الإسباني والقطلانيّ وُلدا في مجرى نهر الأدب العربي . - الجمع بين الحلم والواقع والجمع بين الشخصيات المتناقضة أساليب اقتبسها الأدب الإسباني من الأدب العربي.	المرجع السّابق ص25-42
كاستيخون رفائيل Castejon,R.			متخصّص في التّاريخ الأندلسي	العقيقي: ص617
كوريتي فريدريكو Corriente, F.	من الجيل الثالث	الثالث	- واضع القاموس العربي الإسباني - مهتمّ بمسرح الحكيم واللّهجات العربيّة . - من المؤيّدين للنظريّة القائلة بتأثر الأدب الإسباني بالزّجل والطرائف العربية.	دراسات أندلسيّة: 29/ 2003 ص 38

الأب داريو كبانيلاس Cabanelas,D.	1916/1335 بتراسليا من أعمال أورنس		مختصّ في الفلسفة واللّغة العربيّة	العقيقي: 615
كاسترو أمريكو	من الجيل الثالث		من آرائه : إنّ الأندلسيّين المسلمين هم الذين خلقوا أوّل شعور قومي في إسبانيا، ولولاهم لما أصبح لإسبانيا أيّ تميّز يعلي من شأنها ويسلكها بين الأمم الرّاقية، ليس في تاريخها الوسيط فحسب وإنما ينسحب كذلك على تاريخها الحديث. - وقف ضدّه خونيو أسينيوس	العقيقي: 609
بريبنا أنريك Enrique,P.	1911/1330 بمدريد		تخصّص في الأدب عامّة والشعر بصفة خاصّة	العقيقي 610
دي بلزا ميكال Epalza,M.(De)			من جامعة أليكانت مهتمّ بالموريسكيّين ترجم القرآن إلى القتلانيّة - مؤسّس مجلّة شرق الأندلس.	دراسات أندلسيّة: عدد 2004/31 ص5
دي لا إسكاليرا مارتن Escalera,M.(de la).			تاريخ شمال أفريقيا	العقيقي: 617
فنخول سيرافين Fanjul, S.	من الجيل الثالث		متخصّص في الشعر الشعبي ، من آرائه : -الأدب الإسباني متأثر بالزّجل والفلسفة والتصوف في الحضارة العربيّة. -إنّ الميزة الأكثر وضوحًا في الأدب الشعبي هي واقعيّته التي تبلغ حدّ القسوة والعري ، غير أنّه يبقى دائما محافظا على طابعه الإسباني. -الصّهيونيّة والرأسماليّة تمنع من أن يكون للأدب العربي مكانته في الآداب العالميّة .	دراسات أندلسيّة: 29/ 2003 ص ص 25-42

فنيس سولداد Fenech,S.G			مختصّ في أدب غرناطة في العهد العربي.	دراسات أندلسيّة: 29/ 2003 ص 38
فورنياس خوسي Forneas, J.M	1927/1346 في لُوجُو		متخصّص في التاريخ والحضارة	العقيقي: 616
جارولو تيريسا			- ترجمت دواوين من الشعر الأندلسي - اهتمّت بشعر المرأة الأندلسيّة - نظرة الغرب المتعالية حرمته من كثير ممّا يوجد من جماليّة في الأدب العربي. - الأدب الإسباني في القرن 16/10و 17/11 تأثّر بالأدب العربي من حيث الأساليب والعبارات والأمثال والنّوادر. - المجتمع الإسباني متأثّر بالمجتمع الأندلسي من حيث طرق التفكير والتعامل وأساليب المجاملات.	دراسات أندلسيّة: عدد 2003/29 ص ص 38 -42.
دي لا جَرنْخا فيرنندو Granja(de la) F.			اهتمّ باللّغة ، والشعر، والطبخ الأندلسي	العقيقي: 614
غومث غرسيه Gomez,G.	1905/1323	1995/1416	تلميذ ريبيرا، مختصّ في الشعر الأندلسي ، تحقيقا ودراسة وخاصّة ترجمته إلى الإسبانيّة . - ترجماته للشّعر العربي جعلت الإسبان يتذوّقون هذا الأدب . - أكّد على تأثير الأمثال العربيّة في الأمثال الإسبانيّة . - موقفه من ملوك الطّوائف مخالف لموقف دوزي الذي امتدحهم. - لعب تلاميذه دورًا متميّزا في الاستشراق الإسباني والأوروبي عامّة. - لا تخلو آراؤه من التعصب	العقيقي: 610 أحمد الحمروني، دراسات أندلسيّة: عدد 1996/15 ص26.

			للعنصر القوطي المسيحي ضدّ العنصر العربي المسلم.	
جيتِصولو خوان Gaytisolu, J.			مدافع مستميت عن العرب وقضاياهم الكبرى في النّصف الثاني من القرن 20/14 خاصّة بعد الهجمة الشرسة للإعلام الغربي إثر أحداث سبتمبر 2001 . – في نظره المستفيد الوحيد من أحداث سبتمبر 2001 هما إسرائيل والولايات المتّحدة الأمريكيّة .	
هرنانذث ميجيل كروز Hernandez, M.C			متخصّص في الفلسفة الإسلاميّة في العصر الوسيط . – استعمل عبارة "إسلام الأندلس" عوض عن " إسبانيا الإسلاميّة" .	العقيقي: 9-598.
لامونته خ.ل Lamonte J.L			مختصّ في التّاريخ الوسيط	العقيقي: 592
لوثينا سيكُو دي Lucena, Seco de	1901/1319 بغرناطة		مختصّ في مدينة غرناطة في عهد بني الأحمر : تاريخا وحضارة وأدبا.	العقيقي: 607
مانثاناريس مانويلا Manzanari,M.	1908/1326		– مختصّة في دراسة المستعربين الإسبان في القرن 19/13 . – مهتمّة بالأدب الألخميادو والأزجال والموشحات .	المستعربون الإسبان: ص 7-8 .
مارين منويلا Marin,M.			مهتمّة بدراسة المجتمع الأندلسي وخاصّة العنصر النّسائي – وكذلك تاريخ الأندلس بصفة عامّة .	
ماركيز غرسيه Marquiz,G			– يرى أنّ الواقع الإسباني هو العامل المشترك بين شعوب أمريكا اللاّتينيّة والوطن العربي.	
مارتن مارتنث Marten,M.			مختصّ في الشعر العربي المعاصر	العقيقي: 617 ..
مَاتا ماريا خيسوس			تاريخ الأندلس وخاصّة مدينة غرناطة	دراسات

بيجيرا				أندلسيّة: 29/ 2003 ص39 –علي دعرور : الأدب الأندلسي ص 3-7
مونتابث بدرو مارتينيث Montabez,P.M	1933/1352 بقرية من أعمال جيّان	من الجيل الثالث	مختصّ في الأدب العربي الحديث، وهو القائل :" إنّ إسبانيا ما كان لها أن تدخل التّاريخ الحضاري لولا القرون الثّمانية التي عاشتها في ظلّ الإسلام وحضارته. وكانت بذلك باعثة النّور والثّقافة إلى الأقطار الأوروبيّة المجاورة.	الشكعة : المغرب والأندلس ص33 العقيقي: 696 الملحق الثّقافي لجريد العلم المغربيّة 27 يوليو 1423/ 2002
نوجلس جومث Nogales,G.	1912/1331 في مونتافشر		مختصّ في الفلسفة	العقيقي:613
بانويلا،ب،خــ،م. Panuela,p.J.M.	1902/1320 في شاريس من أعمال قادس		مختصّة في تاريخ الأندلس وحضارتها .	العقيقي:609
ريو ساليدو خيسوس Riosaliodo Jésus			تلميذ وصديق فيرينيث، عمل سفيرا لإسبانيا في سوريا، له اهتمامات تاريخيّة حضاريّة .	
روبيو لوسانو Rubio,LP.B	1909/1327 في بوسادة دي أومانية ، من أعمال ليون		متخصّص في الفلسفة والعلوم الدّينيّة.	العقيقي: 612
سابادا تيرس	1915/1334		مختصّ في التاريخ والأدب العربي.	العقيقي:

Sabada,T	في قرية من أعمال نبّرة			614
سانش فرنسيسكو Sánchez,F			مختصّ في تاريخ العلوم وخاصّة الطبّ .	
فرنات خوان Vernet,J			مختصّ في العلوم الصحيحة وتاريخها له كتاب " الثّقافة الإسبانيّة العربيّة في الشرق والغرب . عُرّب تحت عنوان فضل الأندلس على ثقافة الغرب. من أقواله: إنّ التّرجمات العربيّة تُعدّ وثيقة من المرتبة الأولى للتعرّف على تراث العصور القديمة لأنّ الأصول الإغريقيّة فُقدت ولم تُحفظ إلاّ في هذه التّرجمات . ومن آرائه أن الدّين الجديد (ويعني به الإسلام) الذي كانوا (الفاتحون) ينشرونه قابل لسرعة التّمثل أو على الأقل لن يدخل في صراع مع معتقدات البلدان المفتوحة.	كتابه ص 129 كتابه ص35
بيجيرا فرانكو دي Viguera de, E.F			مختص في الفقه الإسلامي والتّشريع المغربي .	العقيقي: 614
بيجيويرا ماريا خيسوس Viguera,M.J			مختصّة في اللّغة العربيّة وآدابها .	محمود علي مكي: ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي ص 37-42.
فيلا بوش، خ Vila,B.J	1922/1341 في فيجيراس من أعمال خيرونة		مختصّ في تاريخ الأندلس وحضارتها	العقيقي: 615

الخاتمـــــــــــة

إنّ انتماء رجال الاستشراق بصفة عامّة إلى الكنيسة ظاهرة لافتة للنظر، وخاصّة مع الاستشراق الإسباني، وهذا منذ نشوئه في رحم الكنيسة الكاثوليكيّة وفي أديرة إسبانيا المسيحيّة .

وقد مرّ هذا الاستشراق بمراحل تاريخيّة متتالية تؤدّي الواحدة إلى الأخرى دون أن تنفصم عرى المرحلة الموالية عن سابقتها ، كانت المرحلة الأولى مرحلة الانبهار والإعجاب في القرنين 4-10/5-11 عندما وصلت الحضارة الأندلسيّة بقرطبة وغيرها من القواعد الأندلسيّة في شبه الجزيرة الإيبيريّة إلى الأوج . وتولّد عن المرحلة الأولى مرحلة ثانية هي مرحلة الاستفادة من مختلف فروع هذه الحضارة وذلك بما كان يقوم به رجال الاستعراب في مراكز عدّة بعثت قبل مدرسة الترجمة بطليطلة وبعدها على مدى القرنين 6-7/ 12-13 . وجاءت المرحلة الثّالثة نتيجة للمرحلة الأولى والثانية ، فالإعجاب والاستفادة ولّدا موقفا معيّنا من المسلمين وحضارتهم لا يخلو من خوف وكره، فكان لابدّ من مقاومتهم باحتوائهم وذلك عن طريق الجدل الدّيني والتّبشير داخل شبه الجزيرة الإيبيريّة وخاصّة في المناطق التي استرجعها النّصارى وبقي فيها المسلمون يعيشون تحت الحكم النّصراني خلال القرنين 8-9/ 14-15 .

أمّا المرحلة الرّابعة فمثّلت تطوّرا سلبيا في حركة الاستشراق الإسباني : فقد أصبح الخوف حقدا ، والكراهيّة تشويها لكلّ ما يتعلّق بالإسلام دينا وحضارة وذلك خلال القرنين 10-11/16-17.

وهذه المرحلة لا يجوز لنا رفضها بقدر ما يجب علينا فهمها وتفسيرها: فالإسلام ما أن انحسر من أوروبا غربا حتى زحفت جحافله - بعد حوالي قرن من فشل الحروب الصّليبيّة بالمشرق - على أوروبا شرقا مع الجيش العثماني ، وهكذا مثّل الإسلام مع الأتراك كابوسا مزعجا للكنيسة وخاصّة بعد سقوط القسطنطينيّة في منتصف القرن 15/9 ووصول القوّات العثمانيّة إلى أحواز فيينّا .

إنّ هذه المرحلة تمثل الحلقة الحديديّة في سلسلة الاستشراق الإسباني الذهبيّة والغصن الذي يبس وجف يخضوره في شجرة الاستشراق الإسباني الوارفة الظلال .

إنّ هذا الموقف لا يمنعنا من القول " إنّ إسبانيا لئن رفضت في هذه الفترة تراث العرب ومنعته من الدّخول في تاريخها علانيّة من الباب، فقد تسلّل خفية من النّافذة وطبع الأدب الإسباني في القرنين 10-11/16-17 بطابعه المتميّز : أسلوبا وعبارة ، شخصيّات ومواقف .

وقديما قيل : " كلّ شيء وصل إلى حدّه انقلب إلى ضدّه " ، فقد وُلد الاستشراق الإسباني من جديد خلال القرن 18/12 بمفهومه الأقرب إلى الموضوعيّة العلميّة والنّزاهة الأخلاقيّة . ولئن لم يتخلّ عن أمّه " الحركة التّبشيريّة" وعن أبيه "الاستعمار"، . فقد أصبح التّبشير والأطماع الاستعماريّة خارج شبه الجزيرة الإيبيريّة باعتبار أنّ النّصرانيّة توطدت واكتملت حلقات حركة الاسترداد في كامل ربوع إسبانيا بعد سقوط غرناطة أوّلا في نهاية القرن 15/9، وبعد طرد الموريسكيين ثانيا في بداية القرن 11/ 17 .

وتواصل الاستشراق الأروبي – والاستشراق الإسباني جزء منه – لصيق أبويه (الحركة التّبشيريّة والاستعمار) في القرن 19/13، بل زادت العلاقة بينهما توطّدا ، لكنّ الاستشراق الإسباني تميّز بالانتشار في جلّ كلّيات الآداب بالجامعات الإسبانيّة في نطاق أقسام الدّراسات السّامية وفي مراكز البحث القديمة أو التي أنشئت حديثا في أغلب المدن الكبرى ، وخاصّة تلك التي عرفت أوج الحضارة الأندلسيّة في القرون الوسطى .

واشترك الاستشراق الإسباني مع الاستشراق الأروبّي في أنّ أغلب علمائه كانوا من رجال الدّين ، لكنّه انفرد بميزة خاصّة به وهو أنّ المستشرقين الإسبان لم يكونوا في تخصّصهم يدرسون تراث شرق بعيد عنهم مختلف عن شخصيّتهم وهويتهم، وإنّما كانوا يدرسون تراثهم وتاريخ بلادهم لفترة امتدّت حوالي ثمانية قرون. فهم بذلك الأقدر على فهم هذا التّراث والأجدر بدراسته والتّعريف به .

إنّ دراسات الاستشراق الإسباني لم تكن قائمة على الفرض والتّخمين بقدر ما كانت قائمة على الآثار الباقية في بلادهم والمخطوطات المحفوظة بمكتباتهم متّبعين في ذلك منهجا علميا ورثوه عن أجدادهم من العرب وغيرهم . وهم لئن كانوا يدرسون تراث الأندلس في مجمل فروعه ، فقد كان منهم من تخصّص في جانب واحد منه دون نسيان أو إهمال للنّهضة العربيّة الحديثة والأدب العربي المعاصر .

ومنذ القرن 10/4 إلى القرن 20/14 وخاصّة القرنين الأخيرين بدت الأندلس من خلال الاستشراق الإسباني في صورتين .

1- الصّورة الأولى :

برزت هذه الصّورة منذ أن توحّدت إسبانيا بعد سقوط غرناطة في نهاية القرن 9/ 15، فقد اعترف الاستشراق الإسباني بالفترة الإسلاميّة الطويلة نسبيّا باعتبارها جزءا من تاريخ إسبانيا لا يمكن انكارها ، لكن هذه الفترة – في نظر بعض المستشرقين المغرضين – يجب أن يُمحى أثرها من الذّاكرة الجماعيّة أو على الأقلّ تبقى عالقة بالأذهان لتكون موضوع رفض بات [1].

ولئن تواصلت هذه الصّورة إلى نهاية القرن 17/11 ، فقد استرجع الاستشراق الإسباني أنفاسه منذ القرن 18/12 بفهرسة مخطوطات الأسكريال.

ومنذ القرن 19/13 بدأ الاهتمام بالتّاريخ الأندلسي مع المستشرقين الجليلين كوديرا وريبيرا، ووجد هذان العالِمان عنتا ورفضا لفرض التّاريخ الأندلسي على أنّه جزء من تاريخ إسبانيا. ولم يَرَ المعارضون لهما في هذا التّاريخ إلاّ مفاجأة قاسية في بدايته ، مضطربة في وسطه ، عنيفة في نهايته . وقد أدّت هذه الفترة في نظرهم إلى عزل إسبانيا عن محيطها الأروبي ، وأوقفت توجه الحضارة الإسبانيّة الرّومانيّة الطبيعي نحو الأنماط التي اكتسبتها بقية دول القارة الأروبيّة خلال العصر الوسيط .. ووصل ببعضهم الأمر إلى اعتبار أن كلّ ما هو سلبي في حياة المجتمع الإسباني وثقافته في العصر الوسيط هو من أثر الإرث الإسلامي . كان على رأس هذا الاتجاه المستشرق

---

[1] مانويلا مورينا : الأندلس والأندلسيّون ، تعريب حمّادي السّاحلي . الموسوعة المتوسطيّة . الطبعة I ص.ص 57 -66 .

سيمونت Simonet في القرن 19/13 وعبّر عن وجهة نظره بكلّ وضوح، وسايره في ذلك وبطريقة خفيّة وملتوية الأستاذ الكبير والمترجم القدير جَارسيه غومث في القرن 20/14 .

وللحدّ من هذه المعارضة القويّة عمد المستشرقون الجامعيّون بداية من أواخر القرن 19/13 إلى إضفاء الصّبغة الإسبانيّة على الأندلس فبرزت فكرة " وجود أندلس مؤتمنة على القيم الإسبانيّة [2]" وهي قيم أخفتها طبقة رقيقة من حضارة إسلاميّة هشة خلال ثمانية قرون ، فيكفي إزاحة هذه الطبقة السّطحيّة حتى تبدو الهياكل العميقة للحضارة الإسبانيّة الرّومانيّة القوطيّة .

وهذا التوجّه لئن كان عند بعض المستشرقين النّزهاء تعلّة لإدراج التّاريخ الأندلسي ضمن التّاريخ الإسباني ، فقد استغلّه بعضهم عن قصد أو عن غير قصد للبحث عن أصل مسيحي لكلّ ما هو إيجابي في الحضارة الأندلسيّة : فالعلوم طوّرها في الأندلس مستعربون مسيحيّون ولا دور للمسلمين فيها، والموشحات والزّجل أصلهما لاتيني روماني ، والحبّ العذري والعفة والطّهارة من أصل مسيحي الخ ... وهكذا أصبحت الأندلس الإسلاميّة " إسبانيا الإسلاميّة " عند المستشرق الجليل آسين بلاثيوس.

وقد عمل هو وبعض تلاميذه من بعده على تنصير الإسلام الأندلسي أو " أسْبنة الأندلس" ، وذلك لاكتساب شرعيّة دراسة تاريخ الأندلس وإدماجه في تاريخ إسبانيا .

2- الصّورة الثانية :

وهي أقرب إلى الواقع التّاريخي من الصّورة الأولى : لقد برزت الأندلس من خلال الاستشراق الإسباني في صورة جذّابة . وهي لئن لم تتنكّر إلى أصولها الرّومانيّة القوطيّة ، فقد ركّزت على إيجابيات الفترة العربيّة بما فيها من ثقافة مزدهرة وحضارة متألّقة بكتابها وشعرائها، بفلاسفتها وعلمائها ، بأطبّائها ومتصوّفيها. وهي ثقافة وحضارة جعلتا العدوة الأندلسيّة تفتخر على العدوة الإفريقيّة بهما[3] .

---

(2) المرجع السابق .

(3) المرجع السابق .

إنّ الأندلس بصورتها الثانية أصبحت تمثّل في الاستشراق الإسباني تراثا أصيلا نبع من مجتمع متاسمح عاش فيه – بكلّ احترام – أصحاب ديانات ثلاث سماوية . وهي صورة يمكن أن تكون لحاضرنا اليوم المتأزّم نموذجا يُقتدى به للتخلّص من كثير من أدران النّفس البشريّة . إنّ الأندلس بثقافاتها المتعدّدة كانت تُحترم فيها ذاتيّة الآخر وتتفتّح عليه وتتسامح معه ، ولا تنكر مواهبه وقدراته بل تمكنه من الرّقيّ في مدارج العلم والإدارة حسب كفاءته .

إنّها صورة في الاستشراق الإسباني جعلت من الأندلس جنّة أرضيّة يحلو العيش فيها ويطيب بنسائها الجميلات، وحدائقها الغناء، وطبخها اللّذيذ ، وملابسها الزّاهية، وحليها الرّائع، ومعمارها الرّفيع، وموسيقاها المطربة. وكان لهذه الصّورة من التّأثير ما جعل الأبناء والأحفاد يقلّدون الآباء والأجداد في مطاعمهم وملابسهم، في معاملاتهم وتقاليدهم بل في إبداعاتهم الأدبيّة في مناطق عدّة من إسبانيا ، وخاصّة المناطق الجنوبيّة حيث طالت فترة الوجود العربي الإسلامي بها . ومازالت حضارة هذه الفترة على الوجوه جمالا أخّاذا، وفي الأنهج معمارًا جذّابا، وفي المعاملات أريحيّة عربيّة إسلاميّة .

وليس من باب التنويه المبالغ فيه أن رأى بعض المستشرقين الإسبان في هذه الفترة العربيّة الإسلاميّة بالأندلس فترة هامّة لم تخدم التطوّر الحضاري في إسبانيا فقط ، وإنّما كانت – بما ترجم من علوم العرب وخاصّة مناهجهم في البحث العلمي– سببا رئيسا في نهضة أروبا . أمّا تخلّف إسبانيا منذ القرون الوسطى إلى القرن 19/13 فيرجع هؤلاء الباحثون النّزهاء أهمّ أسبابه إلى عمليّة طرد الموريسكيّين اللاّإنسانيّة من وطنهم ممّا أحدث فراغا حضاريّا عجزت إسبانيا عن إيجاد بديل له بالسّرعة المطلوبة .

لئن ملأت الصّورة الأولى نفوسنا حسرة وألما ، وأفعمت الصّورة الثانية قلوبنا بهجة ومسرّة ، فإنّه يتحتّم علينا أن نتخلّص من المجال العاطفي لننظر إلى الاستشراق الأروبي بصفة عامّة والإسباني بصفة خاصّة على أنّه مثال يحتذى بما قام به أصحابه من جمع لتراثنا فحفظوه وحقّقوه ودرسوه فأبرزوا للعالم الحضارة الإسلاميّة في أجلى

صورة وأروعها. وهم بأعمالهم وفّروا لنا وقتا ثمينا ببحوث لم ننتبه للقيام بها : فالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن لفلوجيل والمعجم المفهرس للحديث النبوي لفنسنك ومقالات دائرة المعارف الإسلاميّة، قدّمت خدمات جليلة لكلّ باحث عربي أو غيره في الدّراسات القرآنيّة والسّيرة النبويّة والحضارة الإسلاميّة وأربحتهم وقتا لا يقدّر بثمن .

وكما فعلت أروبا في القرون الوسطى ، عندما ترجمت علوم العرب واقتبست منهجيّة البحث العلمي من بحوثهم ، يجب أن ننحو منحى المستشرقين النـــزّهاء ونتبع سلوكهم ونستمع إلى ما قاله طه حسين فيهم في مقدّمة كتابه الأدب الجاهلي :

" كيف نتصوّر أستاذًا للأدب العربي لا يلمّ ولا ينتظر أن يلم بما انتهى إليه الفرنج (المستشرقون) من النّتائج العلميّة المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة ، وإنّما يُلتمس العلم الآن عند هؤلاء النّاس، ولابدّ من التماسه عندهم ، حتّى يتسنـــى لنا نحن أن ننهض على أقدامنا ونطير بأجنحتنا ، ونستردّ ما غلبنا عليه هؤلاء النّاس من علومنا وتاريخنا وآدابنا"[4].

كما يجب أن نحذر من بعض المواقف التي تضع كلّ المستشرقين في سلة واحدة كما فعل أحمد فارس الشّدياق في قوله " إنّ هؤلاء الأساتيذ (المستشرقين) لم يأخذوا العلم عن شيوخه ، وإنّما تطفّلوا عليه تطفّلاً، وتوثبوا فيه توثّبا ، ومن تخرج فيه بشيء ، فإنّما تخرّج على القسس . ثمّ أدخل رأسه في أضغاث أحلام ، أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه، وتوهّم أنّه يعرف شيئا وهو يجهله . وكلّ منهم إذا درس إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئا منها نراه يخبط فيها خبط عشواء، فما اشتبه عليه منها رقّعه من عنده بما شاء، وما كان بين الشّبهة حدس فيه وخمّن فرجّح منه المرجوح وفضّل المفضول"[5].

صحيح أنّ بعض المستشرقين ينطلق من مواقف فيها كثير من التحيّز ، وصحيح أنّ بعضهم قد يضع فرضيّة شخصيّة ويحاول أن يجد لها الحجج لتدعيمها ولو كانت

---

[4] السّباعي مصطفى : الاستشراق والمستشرقون . القاهرة 1998 ، ص 8 .
[5] المرجع السّابق 14-15 .

فرضيّة غير واقعيّة وأحيانا غير منطقيّة . وقد ينطلق من فكرة جزئيّة يستخرج منها قاعدة كلّية ، وهذا مخالف لمنهجيّة البحث العلمي . ومع ذلك لا نذهب إلى ما ذهب إليه الشدياق لأنّ قولته قد تنطبق على بعض المستشرقين المتحيّزين وخاصّة في القرون الوسطى لكنها بعيدة كلّ البعد عن حقيقة الاستشراق وخاصّة في القرنين 13-14 / 19-20 ، فالمستشرقون أو على الأقلّ بعضهم أساتذة جامعيّون لهم تكوين متين ومنهج رصين ، وأسلوب في البحث – وخاصّة النّقد التاريخي والحضاري – يظلّ الأسلوب السّليم الذي يجدر بنا احتذاؤه واتباعه .

المراجع العربيّة

- **آل طعمه، عدنان محمد** : المختار الأنيس من كتاب عدة الجليس – الدّار الجماهيريّة للنشر والتوزيع 1987.
- **أبو زيد، أحمد**: الاستشراق والمستشرقون، عالم الفكر، مجلد 10 عدد 2 ص ص539- 560
- **آربري أ.ج** : المستشرقون البريطانيّون، تع، محمد الدسوقي النّويهي، لندن 1946.

– **الألوسي، حسام محي الدين** : ملاحظات حـــول الاستشراق ودارسيه. فـــي كتاب إشكاليّة العلاقة مع الغرب، بحوث ومناقشات النّدوة الفكريّة التي نظمها المجمع العلمي العراقي بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت. ط 1، ماي 1997.

- **الأوسي، حكمت علي** : التأثير العربي في الثقافة الإسبانيّة – ط بغداد 1984.
- **البنداق، محمد صالح**: المستشرقون وترجمة القرآن. ط بيروت 1983/1403، 238 ص.
- **بنشريفة، محمّد** : الجذور التّاريخيّة للاستعراب الإسباني .
- **البهي، محمد** :المبشرون والمستشرقون-في موقفهم من الإسلام.
- **بيريس، هنري**: أعمال ميكال أسين بالثيوس بمجلة دفاتر الدّراسات العربية:
Bulletin des études Arabes (Bimestriel) 5année N° 21 Jan. Fev. 1945 Alger.
- **الجبوري، يحيي وهيب** : – المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشكّ والتوثيق بيروت، دار الغرب الإسلامي ط 1. 1997 ، 280 ص.

  – منهج البحث وتحقيق النصوص. ط دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
- **الجرّاري، عبّاس** : قضايا مرابطيّة في منظور بعض المستشرقين (ندوة عدد6 : المغرب في الدّراسات الاستشراقيّة – مطبوعات أكاديميّة المملكة المغربيّة – مرّاكش 1993 ، ص ص 91 – 111) .
- **جمال، عبد الرّحمان (معرّب)** : المستعربون الإسبان في القرن 13/ 19 . ط I . القاهرة 2003 .
- **الحاج، ساسي سالم** : نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقيّة في الدّراسات الإسلاميّة. الجزء الأول : دار المدار الإسلامي ط I بيروت 2002، 575 ص .
- **حسين، أحمد** : فضل المستشرقين على نهضة الفكر الإسلامي (الثّـقافة القاهريّة عدد 29 / 1976 ص ص 4 – 6 ، 16 .

- **حسين، محمد توفيق** : الإسلام في الكتابات الغربيّة (عالم الفكر مج 10، عدد2 ، أفريل 1979 ص ص 509 – 538) .
- **الحيدري، إبراهيم** : صورة الشرق في عيون الغرب، دار الساقي لندن ط1. 1996
- **دعدور، علي** : الأدب الأندلسي (ترجمة) لماريا خيسوس روبيرا ماتا. طبعة المجلس الأعلى للثقافة في سلسلة المشروع القومي للترجمة ، القاهرة 1998 رقم 106.
- **دي بلرا، فرانسوا**: في نقد المستشرقين، مجلّة الفكر العربي عدد 1983/32 ص 145.
- **ديتريش، ألبرت** : الدّراسات العربيّة في ألمانيا : تطوّرها التاريخي ووضعها الحالي، فرانز شتاينز فيسبادن 1962/1382 .
- **الزّيادي، محمد فتح الله**: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها. المنشأة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – ليبيا ط – 1 1983.
- **سالم، خالد** : إميليو غارسيا غوميث ودوره الاستشراقي (حوار) في مجلة الوحدة الباريسيّة السنة السادسة – العدد 61-62 أكتوبر – نوفمبر 1989 ص ص 169 –173.
- **السّامرّائي، إبراهيم** : من دراسات المستشرقين، الأردن / 1985 ، 96 ص.
- **السّباعي، مصطفى**: الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم) . طبعة القاهرة 1418/ 1998 ، 88 ص.
- **السّرغيني، محمّد** : المستشرقون والتصوّف الإسلامي (ندوة عدد 6: المغرب في الدّراسات الاستشراقيّة – مطبوعات أكاديميّة المملكة المغربيّة – مرّاكش 1993، ص ص 141– 166) .
- **سعيد، إدوارد** : الاستشراق: المعرفة، السّلطة، الإنشاء : صدر عن مؤسسة الأبحاث العربيّة ط 3 ، 1991 تعريب كمال أبو ديب.
- **السيد، رضوان**:– ثقافة الاستشراق ومصائره، مجلة الفكر العربي سنة 1983/5 ص 8 .

– الاستشراق ، هل انتهى فعلا؟ الخليج الثقافي، جريدة الخليج، الشارقة، العدد 7563– 7 فبراير 2000.

– **الشكعة، مصطفى**: – مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلاميّة في الأندلس" مقال في كتاب" مناهج المستشرقين في الدّراسات العربيّة والإسلاميّة – نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج التابع للمنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم بمناسبة الاحتفال بالقرن 15 . في جزأين.

– المغرب والأندلس آفاق إسلاميّة وحضارة إنسانيّة ومباحث أدبيّة ط1 – بيروت القاهرة 1987/1407، 420 ص.

- **عاقل، نبيه:** المستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامي في " دراسات تاريخيّة" عدد 9-10 أكتوبر 1982 ص ص 168 -199.
- **(ابن) عبّود امحمد:** الاستشراق والنخبة العربيّة، المجلّة التاريخيّة المغربيّة عدد 27-28 ديسمبر 1982 ص ص 199-215.
- **العقيقي، نجيب:** المستشرقون، دار المعارف، القاهرة 1964.
- **العليان، عبد الله علي:** الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، ط- بيروت 2003 ،144ص
- **عمايرة، إسماعيل أحمد** : المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربيّة ، بحث في الجذور التاريخيّة للظاهرة الاستشراقية، ط. 2 الأردن. 1992 ، 79 ص.
- **عيّاد محمد كامل:** صفحات من الاستشراق، مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق:
- مجلّد 40 عدد 1 / 1965 ص ص 161 – 170.
- مجلّد 40 عدد 1 / 1965 ص ص 383 – 393.
- مجلّد 40 عدد 1 / 1965 ص ص 576 – 587.
- مجلّد XLIII / 1968 ص ص 570 – 580.
- **الغديري، مصطفى** : الحركة الاستعرابيّة مدرسة كوديرا نموذجا. دراسات أندلسيّة عدد 29/ 2003 ص ص 25-43 .

– **غران، بيتر** : الاستشراق المعاصر في الولايات المتحـدة : مقالة منشورة في عدد الاستشراق (2) من سلسلة الثقافة المقارنة ، بغداد 1987 ص ص 63-70.

– **غومس، إيمليو غارسيا** : تكريم مهدى لفرانسيسكو كوديرا، 107/ الأندلس مجلدXV / 1950 ص ص 263-274.

- **غويتسولو، خوان:** / ترجمة جهاد كاظم " في الاستشراق الإسباني" المؤسسة العربيّة للدّراسات والنشر بيروت 1987.

– **فرج، السيّد أحمد** : الاستشراق: الذرائع، النشأة ، المحتوى، دار طويق – الرّياض ط 1/ 1994.

– **فرّوخ، عمر** : الاستشراق ما له وما عليه، المجلّة العربيّة عدد 1 سنة22 رجب 1397 / تمّوز 1977.

- **فوك، يوهان:** تاريخ حركة الاستشراق : الدّراسات العربيّة والإسلاميّة في أوروبا حتى بداية القرن 20، نقله عن الألمانيّة عمر لطفي العالم. ط 2 بيروت 2001.

- **لويس، برنارد:** كتاب الإسلام والغرب : ترجمه قسم التأليف والترجمة بدار الرشيد ، دمشق ط – 1 بيروت 1994. جادل فيه إدوارد سعيد وأنور عبد الملك لانتقادهما الاستشراق.

- **ليد، غائب صالح** : العرب والاستعراب الإسباني المعاصر (كتابات معاصرة عدد 8 / تشرين الثّاني، كانون الأوّل 1990 ص ص 130 – 144) .

- **مارين، منويلا (تعريب حمّادي السّاحلي)** : الأندلس والأندلسيّون . ط1 . تونس / جانفي 2001، 94 ص .

- **المقداد، محمود:** تاريخ الدّراسات العربيّة في فرنسا. كتاب عالم المعرفة العدد 167 سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ط– الكويت، نوفمبر1992.

- **مكي، الطّاهر أحمد**:– دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط 1، دار المعارف بمصر 1980.

- الأدب الأندلسي من منظور إسباني ط. القاهرة 1990 .

- **مكّي، محمود علي**:– (حوار معه) في مجلة الفيصل – الرّياض العدد 231 رمضان 1416 يناير 1996/ ص ص 51–54، والعدد 232، شوال / فبراير ص ص 51–55.

- ثلاث دراسات عن الشعرالأندلسي (ترجمة) المجلس الأعلى للثقافة بمصر ط 1 – 1998 سلسلة المشروع القومي للترجمة رقم 108.

–غراميات إبن حزم ومشكلة الحبّ العذري في الأندلس، مجلّة الثقافة القاهريّة مج 2 عدد 17 فيفري 1975 ص ص 25–34.

- **المنجّد، صلاح الدّين**: المستشرقون الألمان، دار الكتاب الجديد – بيروت 1982.

- **مُونتابث، بيدرو** : (حوار معه) في الملحق الثقافي لجريدة العلم المغربيّة 2002/7/27.

- **ابن نبي، مالك** : إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث: مجلة الفكر العربي يونية سنة 1983/5.

– **النجار، شكري** : لماذا الاهتمام بالاستشراق؟ ، مجلة الفكر العربي سنة 5/ 1993 ص 60.
- **النّشمي، عجيل جاسم** : مصادر التشريع الإسلامي لدى المستشرقين –ط. الكويت 1404/ 1984 .
– **النملة، علي بن إبراهيم** : الاستشراق في الأدبيات العربيّة – مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّة – الرياض ط – 1، 1993.
– **نويهض، وليد:** نهاية الاستشراق – جريدة الحياة، العدد 11546 تاريخ 28 سبتمبر 1994.

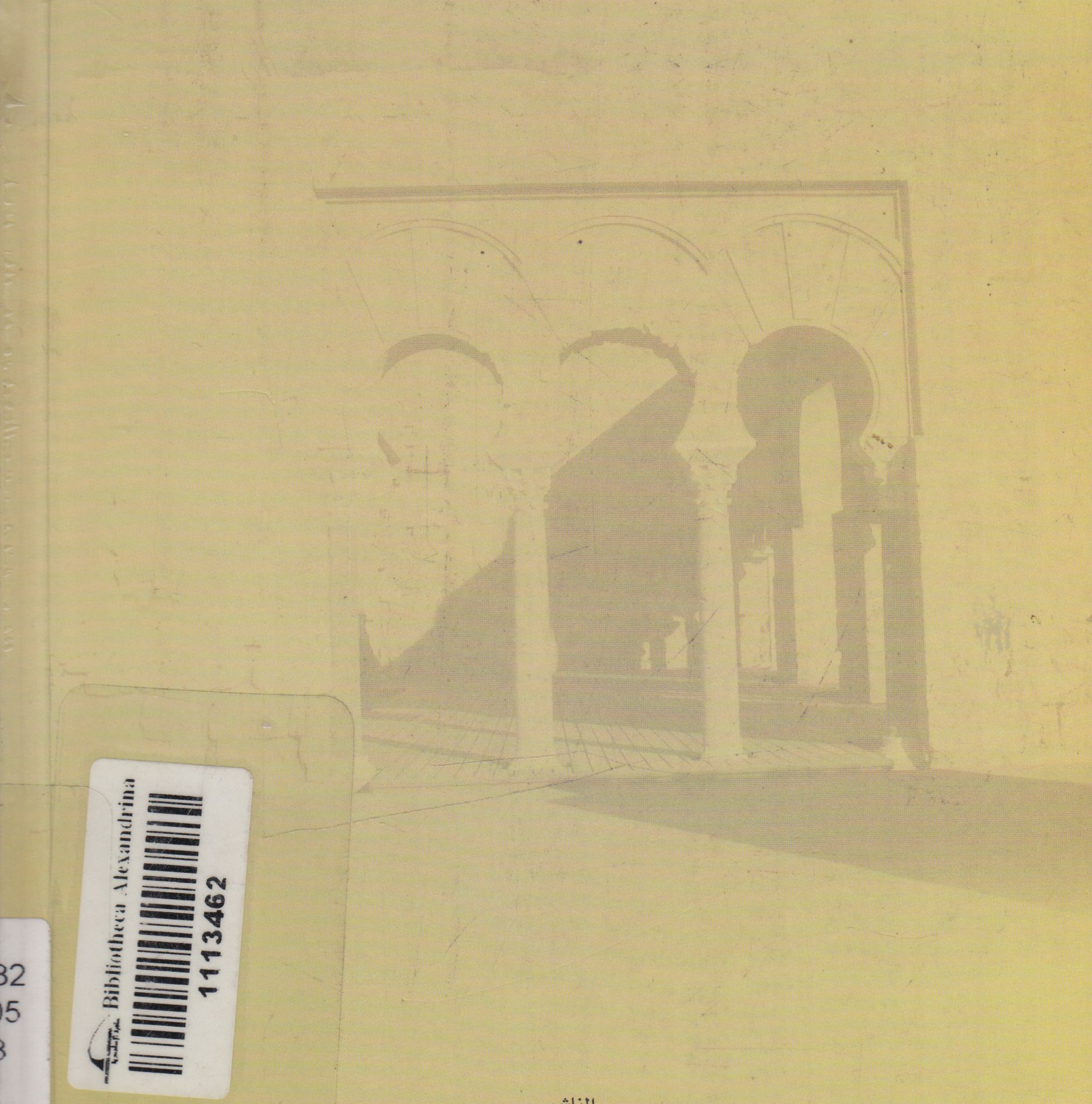
المراجع الأجنبيّة

- **A. Abdel- Malek** : L'orientalisme en crise (Diogène XLIV / 1963 pp 109-42) Trad.
- **Bosch Vilá Jacinto** : El Orientalismo Español : Panorama , Histórico. Perspectivas Actuales.(Bolletin de la Association Españla de Oreintalistas (A.E.O) Año III 1967, pp 175-188.
- **Burgos Francisco Cantera** : Los estudios orientales en la España Actual : (Oriente Moderno 1955 pp 236-247).
- **De Cirre Manuela Manzanares** : Arabistas Españoles del siglo XIX . Madrid 1970.
- **De Cirre Manuela Manzanares** : Don pascual de Gayangos (1809-1897) y los Estudios Arabes (al-Andalus 28/1963, pp 445-461).
- **Gómez, Emilio García** : Homenaje a Don Francisco Codera (1836-1917). Al-Analus, vol XV/1950, pp 263-274.
- **Montávez Pedro Martínez** : La Literatura Arabe y España (Separata de la Revista de información de la comisión national Española de cooperación con la Unisco (Nums 27/28/29).
- **Montávez Pedro Martínez** : Ensayos Marginales de Arabismo Ediciones « Cantoblanco » (Institut de Estudios Orientales y Africanos) universidad Autonoma de Madrid 1977. 197 P.
- **Pérez José A. Sánchez** : Un Arabista Esapañol del siglo XVIII : Fray Patrico José de la Torre. (Al- Andaulus vol XVIII / 1953 PP 450-55).
- **Ramoundi, Anissa** : Aproximación al orientalismo español (C.A.R) Fac. Manouba- Tunis (octobre 1992).
- **Waardenburg J. D.J.** "Mustashrikūn" EI (2) / VII / PP 736 –754.

فهـــــــــرس

طباعة شركة سيتي جرافيك - الكويت

هاتف : 4717768/9 - فاكس : 4717698



Bibliotheca Alexandrina
1113462

الناشر

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الكويت 2004